سلسلة
مدائن شعرية

قسطنطين كفافي

شموع

مختارات شعرية

ترجمة وتقديم: حيدر الكعبي

غاف

سلسلة
مدائن شعرية

شموع

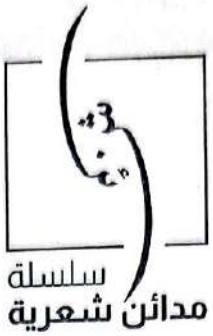

شموع

مختارات شعرية

قسطنطين كفافي

ترجمة وتقديم: حيدر الكعبي

الطبعة الأولى - 2024

ISBN 978-1-961335-21-9

جميع الحقوق محفوظة

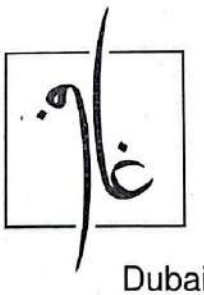

Ghaf
Publishing
منشورات **غاف**

Dubai. UAE

info@ghafpublishing.com

www.ghafpublishing.com

Copyrights © ghafpublishing 2024

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أيّ جزء منه أو تخزينه، في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّيّ مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف: **محمد النبهان**

قسطنطين كفافي

شموع

مختارات شعرية

ترجمة وتقديم: حيدر الكعبي

2024

فهرس

في ترجمة كفافي 9

قسطنطين كفافي :سيرة موجزة 15

رغبات 29

أصوات 30

صلاة 31

الدرجة الدنيا 32

رجل عجوز 34

شموع 36

ثيرموبيليس 37

ذلك الذي يقول لا 38

أرواح العجائز 39

تدخُّل 40

النوافذ 41

الطروادیون 42

الخُطى 44

رتابة 46

الجُدران 47

انتظارُ البرابرة 48

خيانة العهد 51

جنازة ساربيدون 53

ديونيسيوس وحاشيته 56

جوادا أخيل 58

إنه هو 60

الملك ديميتريوس 61
المدينة 62
ولاية 64
الخامس عشر من آذار 66
الرب يتخلى عن أنطونيو 68
النهاية 70
أغنية أيونيّة 71
نحّاتُ تيانا 72
إيثاكا 74
هيروديس أتيكوس 77
عاشق الإغريق 79
ملوك إسكندريّون 81
قَدْرَ الإمكان 83
نادراً جداً 84
لقد مَضَيْتُ 85
في الدكّان 86
ضريح ليسياس النحوي 87
بعيداً 88
ضريح إفريون 89
الثريّا 90
ثيودوتوس 91
لكنَّ الحكماءَ يُحِسُّونَ بالأحداثِ الوشيكة 93
بحر الصباح 94
أوروفيرنيس 95
إنه يُقسم 98
ذاتَ ليلة 99
معركة ماغنيسيا 100
مانويل كومنينوس 102

استياء ديميتريوس بن سلوقس 103
في الشارع 105
حين تَهِيجُ الرؤى 106
أمام تمثال إنديميون 107
عينان رماديتان 108
في مدينة بمملكة أوسروين 109
أَحَدُ آلهتِهم 110
قبر ياسيس 112
في المساء 113
قيصرون 115
في الميناء 117
قبر لانيس 118
مُهلةُ نيرون 120
مبعوثون من الإسكندرية 122
منذ التاسعة 124
إيميليانوس موني الإسكندراني 628 - 655 م 126
لتبقى 127
في السفينة 129
عن ديميتريوس سوتر 162 - 150 ق.م. 130
شَمْسُ العَصْر 133
إذا كان ميتاً حقاً 135
داريوس 137
نبيل بيزنطي يكتب الشعر في المنفى 140
فضل من الإسكندر بالاس 142
بدايتها 143
ديماراتوس 144
صانع طاسات الخمر 147
حزن جيسون بن كليماندر - الشاعر في كوماجيني 595 م 148

من مدرسة الفيلسوف الشهير 149
أنتم يا من قاتلتم مع العصبة الآخِيَّة 151
في كتاب قديم 152
شاهدة على ضريح أنتياكوس - ملك كوماجيني 154
مسرح سيدون 400 م 156
قبل أن يغيرهما الزمن 157
في الإسكندرية 31 ق.م. 158
انتصارات جون كانتاكوزينوس 159
على ساحلٍ إيطاليٍّ 161
من زجاج ملون 162
مَرَضُ كليتوس 163
في إحدى مدن الأناضول 165
موكب عظيم من القساوسة والعامة 176
كاهن في السيرابيم 169
آنا دالاسيني 170
في مستعمرة إغريقية كبيرة 200 ق. م. 171
لم تفهم 174
في سبارطة 175
أيام 1910، 1911، 1912 177
أمير من ليبيا الغربية 179
ميريس، الإسكندرية، 340 للميلاد 181
تعال يا ملك اللاكيديميين 185
كان عليهم أن يهتمُّوا 187
المِرآة في الصالة 190
أيام 1908 192
في ضواحي أنطاكية 194
هوامش 197
المصادر 206

في ترجمة كفافي

يقول ري دالفن إن العنصر الأكثر إثارةً للخلاف في شعر كفافي هو «مزجُه الفريد بين اليونانية الفصحى (الكاثارفوسا) واليونانية العامية (الديموتية).» ويقول دانييل مندلسون «كانت أعمالُ كفافي المبكرة قد كُتبتْ بالفصحى، ولكنه في بدايات تسعينات القرنِ التاسعَ عشرَ بدأ باستخدام العامية. وكانت قصيدتُه غيرُ المنشورة -الطقس الحسن والطقس الرديء (1893)- أولَ قصيدةٍ كتبها بأكملها بالعامية.» ويقتبس دالفن رسالةً من كفافي يقول فيها: «لقد حاولتُ أن أمزجَ لغةَ الكلام مع لغةِ الكتابة، واستدعيتُ لمعونتي، من أجل تحقيق هذا الغرض، كلَّ خبرتي وكلَّ ما لديَّ من بصيرة فنية، وأنا أرتعد، كما يقال، لدى كلِّ كلمة.» ولم يكن ذلك المزجُ، لدى كفافي، غايةً في ذاته، بل وسيلةً لتحقيق غاية. فأحياناً -والكلامُ ما زال لدالفن- كان كفافي يستهدف أن يحقِّقَ توافقاً فنياً بين الكلمة والسياق الذي ترد فيه. ففي قصيدة «صلاة،» مثلاً، التي كتبَها في الغالب بالعامية، آثرَ اختيارَ التهجئةِ الفصيحة للكلمة اليونانية التي تعني «أيقونة،» إشارةً إلى تمثال السيدة العذراء، لكي يُضفيَ جواً من القداسة والخشوع على المشهد. وذكرَ دانييل مندلسون أمثلةً أخرى، وكيف عانى في ترجمتها إلى الإنكليزية، بينها قصيدة «استياء ديمتريوس بن سلوقس،» حيث استعمل كفافي في البداية عبارةً فصحى للفعل «يتسوَّل،»، وانتهى باستخدام الاسم العامي للـ «شحاذة،» ليعكس، كما يعتقد مندلسون، عَبْرَ هذا الإنحدار اللغويِّ، حالةَ

الإنحدار الإجتماعيِّ من منزلة الملك إلى منزلة الشحّاذ، التي يمر بها الملك البطلمي السابق.

وإذا أخذنا في اعتبارنا الطابعَ السرديَّ (أو الدرامي) لقصائد كفافي عموماً، فلن يَصدمَنا انتقالُه المفاجئ أحياناً من نمطٍ لغويٍّ معين إلى نمطٍ لغوي آخرَ مغايرٍ تماماً، كالانتقال من اللغة العامية شِبْهِ المرتجلة إلى اللغة الفصحى عاليةِ النبرة، المتحذلقةِ أحياناً، أو بالعكس، لكي يعكسَ اختلاف الشخصيات، أو اختلافَ ثقافاتِها أو اختلافَ حالاتِها الذهنيةِ ودواخلِها. وفي ظني أن المترجمَ الإنكليزي سيجد نفسه أكثرَ حريةً في نقل هذا التلون اللغوي من نظيره المترجم العربي. إن لغة الكلام العربية (العامية، كما تسمى عرفاً) ما زالت ممنوعةً من دخول الكتب. فالمترجم العربي غيرُ مسموحٍ له بالانتقال بين الفصحى والعامية. وغايةُ ما يمكنه أن يفعل هو أن يختار بين «الفصحى الفصحى» و«الفصحى العامية.» وأعني بالفصحى الفصحى المفرداتِ والعباراتِ والبنى اللغويةَ الموجودةَ في عربيةِ الكتابةِ حَصْراً (عربيةِ المعاجم وكتبِ التراث)، أما «الفصحى العامية» فأعني بها الكلماتِ المشتركةَ بين عربيةِ الكتابة وعربيةِ الكلام. فكلماتٌ وعباراتٌ مثلُ «نُضار، ولُجين، وحُبور، واليَمّ، والنوتيّ، وبَيْدَ أنَّ، ولا سيَّما» تدخل ضمن الخانة الأولى. وعباراتٌ مثلُ «ذهب، وفضة، وفرح، والبحر، والبحَّار، ولكن، وخصوصاً» تدخل ضمن الخانة الأخرى. فالفصحى الفصحى، في الغالب، نراها ولا نسمعها. والفصحى العامية نراها ونسمعها. أما «العامية العامية» فنسمعها ولا نراها. وهناك أيضاً درجاتٌ في الفصاحة، ودرجاتٌ في العامية. فإذا أَلْجَأَتِ الحاجةُ المترجمَ العربيَّ إلى تسميةِ الفقير الذي يستعطي الصدقات، كما في مثالي السابق عن قصيدة «استياء ديميتريوس بن سلوقس،» مثلاً، فَعَلَيْهِ أن يختارَ بين أحد المرادفات التي يجدُها مناسبةً لغرضه مما هو داخلٌ ضمن الخانتين الأوليين المذكورتين، الفصحى الفصحى، أو الفصحى العامية.

فيمكنه، مثلاً، أن يختار بين «العافي» و«السائل» و«المستعطي» و«المتسول» و«الشحاذ» و«المستجدي،» إلخ. ثم إذا تحتَّم عليه أن يعكس التفاوتَ اللغويَّ في النص الأصلي بين العامي والفصيح، فسيُضطر إلى ترتيب تلك المترادفات حَسَبَ درجةِ شيوعِها أو نُدْرَتِها. فالأقلُّ شيوعاً أنسبُ لمعادلة الفصيح النادر، والأكثرُ شيوعاً أنسبُ لمعادلة العامي المألوف. ولكن المترجم العربي محروم من استعمال البدائل العامية للمتسول، ككلمة «مجدّي» العراقية، أو «شحّات» المصرية، مثلاً.

وأحياناً أخرى يختار كفافي، كما يظن دالفن، بين العامية والفصحى على أساس ما إذا كانت الكلمات المستخدمة تتناغم أو تتنافر صوتياً مع بعضها البعض. وفي هذه الحالة يُفترض في تَيَسُّرِ كلا العامية والفصحى لخدمة الشاعر أن يُغْنِيَ مواردَه اللغويةَ ويمنحَه حريةً أكبر في الاختيار. وإذا كان ما يقوله كلٌّ من دالفن ومندلسون في هذا الشأن صحيحاً، فمعنى هذا أن كفافي كان يقوم باختياره المفرداتِ والعباراتِ والصيغَ اللغويةَ بصورة واعيةٍ، مقصودةٍ، وفي حرية كاملة. ولكنْ إذا سَلَّمْنا بهذا -هكذا بلا أية تحفظات- سَلَّمْنا في الوقت نفسه بأنَّ لاوعيَ الشاعرِ (بأنَّ المخزون اللاشعوريَّ لكامل تجربتِه الحياتيةِ ومجموعِ قراءاتِه وخبراتِه) كلَّ هذا لا دَخْلَ له في صناعةِ قصيدتِه. وهو أمرٌ لا يمكن قبولُه إلا في حدودٍ نسبيَّةٍ، طبعاً. ففي أحيان كثيرة، لا يكاد اختيارُ الكلمةِ المفضلة ليختلفَ كثيراً عن اختيار اللونِ المفضل، أو الفاكهةِ المفضلة. هل يستطيع من يفضِّلُ الكمثرى أن يُثْبِتَ، بصورةٍ عقلانيةٍ مقنعة، أنَّ الكمثرى ألذُّ من التفاح أو الإجّاص، مثلاً؟ إنَّ اختيارَنا لكلماتِنا يرتبط، إلى هذا الحد أو ذاك، بذائقتنا الفردية، وهذه بدورها ترتبط بكاملِ تجاربِنا الحياتية، سواءٌ تلك التي نتذكرها، أو تلك المنسيةِ، المطمورةِ في أعماق اللاوعي. ومع هذا كلِّه، فهناك، بلا شك، مساحةٌ -وإنْ كان من العسير جداً قياسُ مقدارِها- لاختيارِ المفرداتِ اختياراً عقلانياً هادفاً.

من جهة أخرى، كان شعر كفافي، في معظمه، موزوناً مقفى. ومن الطبيعي أن تَحِدَّ القافيةُ والوزنُ من دائرة خياراته اللغوية. فخَيارُ الشاعر بين العامية والفصحى لا يمكن أن يَتْبَعَ دائماً الأغراضَ الفنيةَ التي يهدف إليها الشاعر، لأن عليه أن يختار ضمن الحدود التي يتيحها له قيدا الوزن والقافية. هذه القافية وذلك الوزن سنخسرهما في ترجمتنا هذه، لأننا إذا أردنا التشبثَ بهما فستكون خسارتُنا أكبر. فهو إذن خَيارٌ بين خسارتين، رغم أنني لا أستبعد أن يتصدى لهذه المهمة (مهمةِ ترجمةِ كفافي موزوناً ومقفى) مترجمٌ آخرُ أكفأُ مني فينجحَ في ما فشلتُ فيه. لكنني أرى من الضروري أن يتذكرَ القارئُ أن ما يقرؤه هنا نثراً هو في الأصل موزونٌ ومقفى. إنَّ هذا يعطينا فكرة عن قدرة شعر كفافي على الوصول إلى القارئ رغم كل الخسائر التي تُلحِقُها به الترجمة. فالشعر الموزون المقفى عموماً، ولأسباب مفهومة، أقلُّ قابليةً للترجمة من غيره. وهذا يعرفه كلُّ مشتغلٍ بالترجمة. ويبدو أن المكونات الأكثرَ أهميةً في شعر كفافي قادرةٌ على اجتياز حاجزِ الترجمة بأقلِّ قَدْرٍ من الخسائر. لكنَّ من المفيد، كما أحسب، أن نقدمَ للقارئ نموذجاً تجريبياً لما يمكن أن يبدو عليه شعرُ كفافي لو اخترنا ترجمتَه موزناً ومقفى، ونتركَ للقارئ أن يقدِّرَ حجمَ الخسارة التي ستُمْنَى بها القصيدةُ لقاءَ تمسّكِها بالوزن والقافية.

يكاد يتفق مترجمو كفافي على أنه كان يُكثر من الوزن الشعري المسمى بـ«الإيامب» وخصوصاً «الإيامب الخماسي.» وإذا شئنا تقريبَ هذا الوزنِ إلى القارئ العربي (تقريباً لا تطابقاً) يمكننا أن نمثِّلَه بالقالب الوزني التالي:

لالا، نعم، لالا، نعم، لالا

أو بلغة التفعيلة: مُسْتَفْعِلُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، فَعْلُنْ

ولعل أقرب البحور الشعرية العربية إليه هو السريع، أو ربما مجزوء الرجز، ولكن هذا لا يعنينا كثيراً هنا.

وسأختار قصيدةَ «صلاة» مثالاً هنا، معتمِداً على الترجمة الإنكليزية لجون مافروغورداتو التي حاولَ فيها أن يحاكي الأصلَ الإغريقي وزناً وقافية. القصيدةُ من وزن «الإيامب الخماسي» وهي من ثمانية أبيات، كلُّ بيتين من قافية واحدة (الدوبيت). وقد انتهيتُ بوضعِها في الصيغة التالية:

«صلاة

البحرُ وارى جثَّةَ البحَّارْ

والأمُّ لا تدري بما قد صارْ

تَمضي تُضيء الشمعَ للعذراءْ

تدعو عسى أن تهدأَ الأنواءْ

تستحلفُ العذراءَ في إلحاحْ

هلّا أعادتْ إبنَها الملاحْ

قد أصغتِ العذراء في صمتِ

تدري بأنَّ الإبنَ لن يأتي.»

هذه الترجمة، إذا صح أن نسميها كذلك، ترجمةٌ عُسفية، متخشِّبة، نُجِرَتْ فيها الكلماتُ نَجْرَاً، ثم حُشرتْ حشراً في قالب الوزن بصورة قسرية. فالفعل «وارى» في البيت الأول لا يؤدي إلا ضمناً، وإلا تلميحاً دلالةَ الفعل الأصليّ «أَخَذَ إلى أعماقه،» الذي عادلْتُه في ترجمتي النثرية بعبارة «ابتلع.» وفي البيت الثاني جئتُ بعبارة «بما قد صار» الزائدة لكي أحشو بها فراغَ الوزن، لا غير. فهي لا ضرورةَ لها، كما هو واضح. ويلاحَظ أن الانتقال من الفعل الماضي إلى المضارع، وبالعكس، قد تمَّ وفْقَ اقتضاءاتِ الوزن لا المعنى. وقد اختفى من النسخة الموزونة مشهدُ الأمِّ وهي ترهف أذنيها لاتجاه الرياح، إضافة إلى ركاكة جَمْعِ الفعلين «تمضي تضيء.» فالمتعارف عليه أن يُفصل الفعلان في هذه

الحالة بحرفٍ مثل «تمضي لتضيء» أو «تمضي فتضيء.» ولا شك أن الشاعر نفسه كان قد عانى من صعوباتٍ مماثلة في كتابة القصيدة الأصلية لكي يطوّع جُمَلَه للوزن والقوافي. فاختيارُه للكلمات والصياغات لتحقيق أغراضٍ فنيةٍ معينة، بما في ذلك اختيارُه بين العامية والفصحى، لا بد أن يكون محدوداً بمساحة الحرية التي يسمح بها الوزنُ والقافية. وهذه المساحة قد لا تتسع لتأدية تلك الأغراض. لهذا كله لا أجد في نفسي ميلاً إلى ترجمة الشعر ترجمة موزونة مقفاة.

وقبل أن أختتمَ كلمتي هذه، أود أن أشكر من سبقوني في ترجمة كفافي إلى العربية، ولكلٍّ منهم امتيازُه. ولو لم يكن لهم إلا فضلُ السبق لكفاهم هذا فضلاً. أخصُّ بالذكر منهم سعدي يوسف الذي تعرَّفْتُ على كفافي للمرة الأولى من خلال ترجمته (1979)، وبشيرَ السباعي الذي تَرجمَ مختاراتٍ من شعر كفافي عن الفرنسية (1991)، ونعيم عطية، الوحيدَ بين من أعرف الذي ترجمَ كفافي عن اليونانية مباشرة (2002)، ورفعت سلّام الذي ترجم الأعمال الشعرية الكاملة لكفافي (2011). فلتكن إذن هذه الترجمةُ هديةً لهم واعترافاً بفضلهم.

حيدر الكعبي

4 تموز 2023

رغبات

كالأجساد الجميلة
التي ماتت قبل أن تكبر
محبوسةً، وا أسفاه، في قبرٍ كبيرٍ فاخر
الوردُ عند رؤوسها، والياسمينُ عند أقدامها
هكذا تبدو الرغباتُ التي مضتْ
دون أن تُلبَّى
دون أن تحظى بليلةٍ سعيدة
أو صباحٍ واحدٍ مضيء.

أصوات

الأصواتُ الحبيبة، التي لا تُشبهها أصوات
أصواتُ أولئك الذين ماتوا
أو أولئك الذين ضاعوا منا، فهم في حُكْم الأموات.

تتحدثُ أحياناً إلينا في المنام
أو نسمعُها أحياناً في أفكارنا.

ومع أصدائها تأتي أحياناً
أصداءُ قصائدنا الأولى
أشبهَ بموسيقى بعيدة تتلاشى في آخر الليل.

صلاة

لقد ابتلعَ البحرُ بحَّاراً في أعماقه
بينما راحت أمُّه الغافلة تشعل شمعة طويلة
أمام أيقونة العذراء
وتُصلِّي من أجل أن يعودَ ابنُها سريعاً
ومن أجل أن يكونَ الطقسُ حسناً
مرهفة أذنيها لاتِّجاهِ الريح
وبينما هي تصلي وتتوسل
كانت الأيقونة تصغي بصمت، بحزن
فهي تعرف أن الولد المنتظر
لن يعود أبداً.

الدرجة الدنيا

أفيمينوس، الشاعر الشاب
شكا يوماً لثيوكريتوس قائلاً
«لقد مرَّت سنتان وأنا أكتب
ولم أُنجز سوى قصيدةٍ رعوية واحدة
هي عملي الوحيد الذي أكملتُه
يا لَبُؤسي، ما أطولَ سُلَّمَ الشعر
ما أطولَه من سُلَّمٍ حقاً
ومن الدرجة الدنيا التي أقف عليها الآن
لن يمكنني الصعودُ أبداً. فيا لَتعاستي»

فردَّ ثيوكريتوس: «هذا الكلام لا يناسبك. ما تقوله كفر
فحتى هذه الدرجة الدنيا مصدر فخر وسعادة
أن تبلغ هذه الدرجة ليس بالأمر الهيِّن
ما حققتَه شرفٌ كبير
فحتى هذه الخطوة، حتى هذه الدرجة الدنيا
قد رفعتْكَ كثيراً عن مستوى العامّة

فلكي تواصلَ ارتقاء السُلَّم
لا بد أن يحقَّ لك أولاً
أن تُصبح مواطناً في مدينة المُثُل
ومن الشاقِّ والنادر أن يُمنحَ أحدٌ هذا الشرف
ففي مجالس تلك المدينة
رجالُ حقوقٍ لا يخدعُهم أيُّ مغامر
أن تكون بلغتَ هذا المبلغَ ليس بالأمر الهيِّن
ما فعلتَه شرفٌ كبير.»

رجل عجوز

في داخلِ المقهى الصاخبة
يجلس رجل عجوز مَحْنِيّاً على طاولة
وحيداً، وأمامه جريدة.

وفي شيخوخته المزرية المذلة هذه
راح يتأمل المسرات القليلة التي تمتَّعَ بها
أيامَ كان قوياً، متوقداً، وسيماً.

إنه يدرك أنه شاخ كثيراً، إنه يُحسُّ بهذا، إنه يراه
ومع هذا فإن اليوم الذي كان فيه شاباً يبدو كأنه أمس
ما أقصره من زمن، ما أسرعه.

إنه يفكر كيف خدعتْه الحكمة
كيف وضع ثقته كلها فيها، يا للأبله
تلك الكذابة التي ظلت تقول: «غداً، غداً، ما زال أمامك متسعٌ من الوقت.»

إنه يتذكر النزواتِ التي قمعها، والمُتَعَ الكثيرة التي ضحى بها
كلُّ فرصة ضائعة تمد له لسانها الآن
وتسخر من حكمته الحمقاء.

لكن العجوز، من كَثرة التفكير والتذكُّر، شعر بالنعاس
فمال برأسه وأغفى على طاولة المقهى.

شموع

أيامُنا المقبلة تقف أمامنا
كصفٍّ من الشموع المشتعلة
شموع صغيرة ذهبية، دافئة، متوهجة.

أما أيامُنا الماضية فتبقى خلفنا
مثل رتلٍ حزينٍ من الشموع المنطفئة
أَقْرَبُها ما زالت مُدَخِّنة
شموع باردة، ذائبة، منحنية.

لا أريد أن أنظر إليها، شكلها يحزنني
ويحزنني أكثر أن أتذكر ضياءها الأول
ولهذا أواصل النظر أمامي إلى الشموع المشتعلة.

لا أريد أن ألتفت لكيلا يقشعرَّ جلدي
لرؤية الصفِّ الكئيب خلفي يزداد طولاً
وعددِ الشموع المنطفئة يتضاعف بسرعة.

ثيرموبيليس

المجدُ لأولئك الذين نَذَروا حياتَهم
للدفاع عن ثيرموبيليس
الذين لا يتزحزحون شعرةً عن واجبهم
مستقيمون، نبلاءُ في كل أفعالهم
رغم أن في قلوبهم رحمةً أيضاً
كرماءُ حين يَمْلِكون
وحين لا يَمْلِكون، كرماءُ أيضاً
لا يَبْخَلون بالقليل الذي لديهم
لا يَنْطِقون إلا الصدق
ولكنهم لا يَحْقِدون على من يكذب.

وهم يستحقون مجداً أكبر
حين يتنبَّؤون (والكثيرون منهم يتنبَّؤون فعلاً)
أنَّ إفيالتيس سوف يظهر أخيراً
وأنَّ الميديين سيمرُّون في نهاية المطاف.

ذلك الذي يقول لا

سيأتي اليومُ الذي يجب فيه
أن نَنْطِقَ الـ «نعم» الكبرى أو الـ «لا» الكبرى
ذلك الذي يحوي الـ «نعم» في داخله سيُعلِن عن نفسه حالاً
وسيقولها مؤمناً وهو يَعْبُرُ إلى ضفة المجد.

أما ذلك الذي يقول «لا» فلن يتراجعَ ولن يندمَ، ولو سُئل مرةً أخرى
لقال «لا» مرةً أخرى. ولكنَّ تلك الـ «لا» – الـ «لا» الحقَّة –
ستدمِّرُ ما تبقّى من حياته.

أرواح العجائز

أرواح العجائز تَقْبَعُ داخلَ أجسادِها
العتيقة، الهرمة
ما أتعسها، المسكينة
ما أشدَّ ضجرَها وهي تتحمل حياتها البائسة هذه
ما أكثر ما ترتعد خشيةَ أن تَفْقِدَها
ما أشدَّ حرصَها عليها
هذه الأرواح المضطربة، المتناقضة
المضحكة، المبكية
التي تجلس تحت جلودها البالية، المهترئة.

تدخُّل

نحن نتدخل في شؤون الإلهة
نحن الكائنات الضاجة، الغُرَّة، العجول
ففي قصور فثيا وإليوسيس
حين يبدأ ديميتر وثيتيس عملَهما العظيم
وسط اللهب الشاهق والدخان الكثيف
تُهْرَعُ ميتانيرا من مخدعها الملكي
شعثاءَ الشعر، مرتعبة
ويَهُبُّ بيليوس المذعورُ ليتدخل.

النوافذ

في هذه الغرف المظلمة
أمضيتُ أياماً خانقة
أدور وأدور بلا جدوى
بحثاً عن النوافذ
ففي النافذة المفتوحة
شيءٌ من العزاء
ولكنْ ليست هناك نوافذ
أو أنني لا أستطيع أن أجدَها
ولعل من الأفضل ألا تكونَ هناك نوافذ
فربما سيصبح الضوءُ طاغيةً آخر
فمن يدري ما الذي سيَجْلُبُهُ معه؟

الطروادیون

جهودُنا كجهود الطروادیین
كجهود عاثري الحظ جمیعاً
ننجح للحظة، فنستعیدُ بعضَ الثقة
ونستردُّ الشجاعةَ والأمل.

ولكنْ ثمة دائماً شيءٌ یوقِفُنا
إذ یَبْرُزُ أخیل من الخندق
وبصرخاته المدوِّیة یُلقي الذعرَ في قلوبنا.

جهودنا كجهود الطروادیین
نظن أننا بالعزم والجُرأة
سنغیِّر مصیرَنا المتدهور
فنقفُ مستعدین في ساحة المعركة.

ولكن حين تأتي الطامّةُ الكبرى
تخونُنا الشجاعة، ويتبخر عزمُنا
فتضطرب أرواحنا، ويُصيبها الشلل
فنركُض على امتداد الأسوار
لننجو بأنفسنا.

ومع ذلك، فهلاكنا مؤكد
فهناك، فوق الأسوار، بدأتِ المناحةُ منذ الآن
بدأتْ ذكرياتُنا وأيامُ مجدِنا تَنْدُبُنا
وراحَ برايم وهيكوبا يُعْوِلان.

الخُطى

على سرير الأبنوس
المزيَّن بصقورِ المرجان
يرقد نيرون غارقاً في النوم
غافلاً عن كلِّ شيء، هادئاً، سعيداً.
رافلاً بالعافية
وبعنفوان الشباب.

ولكنْ في الصالة المرمرية
حيث يَقْبَعُ المعبدُ القديم للإينوباربي
ما أشدَّ قلقَ الآلهة الصغيرة
الآلهةِ الحارسة
أجسادُها الضئيلة ترتعد
لقد سَمِعَتْ ضجةً مشؤومة
ضجةَ الموت نفسِه ترتقي السلالم

خطى حديدية تهز الدرجات

وها هي الآلهة البائسة

تنزوي في مؤخرة المعبد

ويتعثر بعضها ببعض

ويدوس بعضها على بعض

فهي تعرف هذا النوعَ من الضجيج

إنها خطى آلهةِ الانتقام.

رتابة

الأيامُ تتلو بعضَها برتابة
الرتابةِ ذاتِها. الأشياءُ ذاتُها ستَحْدُث
ثم تحدث ثانية
واللحظاتُ ذاتُها ستأتي ثم تغادر.

يمر الشهرُ، ويأتي شهرٌ آخرُ
وفي وُسْعِ المرء أن يَحْزُرَ الأحداثَ مقدَّماً
إنها أحداثُ الأمس المضجرةُ ذاتُها
ثم يمضي الغدُ وكأنه ليس غداً.

الجُدران

بلا مراعاةٍ، بلا شَفَقة، بلا خجل
بَنَوا جدراناً شاهقةً سميكة حولي.

وها أنا أجلس يائساً
وليس في ذهني شيءٌ آخر
فهذه الجدرانُ تحتلُّ عقلي.

لديَّ شغلٌ كثير في الخارج
آخ، كيف لم أنتبهْ حين شيَّدوا الجدران؟

ولكنّني لم أسمعْ أيةَ ضجة، ولا أيَّ صوتٍ يَدُلُّ على البِناء
فمن دونِ أن أشعرَ عَزَلوني عن العالم.

انتظارُ البرابرة

ما الذي ننتظره هنا مُحْتَشدينَ في الساحة العامة؟

البرابرةُ سيأتون اليوم.

لماذا توقَّفَ مجلسُ النواب عن العمل؟
لماذا يجلس النوابُ عاطلين دون أن يَسُنُّوا القوانين؟

لأن البرابرة سيأتون اليوم
أية قوانينَ سيسنُّها النواب؟
حين يأتي البرابرة سيضعون القوانين.

لماذا استيقظَ الإمبراطور مبكراً هكذا
ولِمَ يجلسُ على العرش بكامل أبَّهته عند البوابة الرئيسية للمدينة
وعلى رأسه التاج؟

لأن البرابرة سيَصِلُون اليوم
والإمبراطور ينتظر أن يستقبل رئيسَهم
وقد حَمَلَ إليه رسالة مطوية
ضمَّنها الكثيرَ من ألقاب التشريف والفخامة.

لماذا خرج القنصلانِ والقضاةُ اليوم
بأرديتهم الرسمية الحمراء المزركشة
ولماذا يرتدون أساورَ مرصَّعة بالجَمَشْت
وخواتمَ من الزُّمُرُّدِ البرَّاق
لماذا يحملون خيزراناتٍ مقدودةً من الفضة والذهب؟

لأن البرابرة قادمون اليوم
وأشياءُ كهذه تَبْهَرُ البرابرةَ.

لماذا لم يأتِ الخطباءُ المفوَّهونَ كعادتِهم
ليُلقوا خُطَبَهم ويقولوا ما لديهم؟

لأن البرابرةَ سيأتون اليوم
والبرابرةُ يَضْجَرُونَ من الخُطَب والبلاغة.

لمَ هذه الفَوْضى المفاجئةُ وهذا الاضطراب؟
(ما أشدَّ الكآبةَ التي بدتْ على الوجوه)
لماذا راحتِ الشوارعُ والساحاتُ تَفْرَغُ بسرعة
والكلُّ يعود إلى بيته مستغرقاً في التفكير؟

لأن الليل قد حَلَّ، ولم يأتِ البرابرة
وقد جاء أناسٌ من الحدود يقولون
إن البرابرة لم يَعُدْ لهم وجود.

وماذا سنعمل الآن بلا برابرة؟
لقد كانوا نوعاً من الحل.

خيانة العهد

في عُرس ثيتيس وبيليوس
نهض أبولو من المائدة الباذخة
ليُغدقَ على العروسين أفضالَه
وليبارِكَ الوليدَ الذي سيُثمرُه اتحادُهما
قائلاً: «لن يَمَسَّهُ المرضُ أبداً، وسيحيا حياةً طويلة.»
وحين نَطَقَ هذه الكلماتِ غَمَرَ الفرحُ قلب ثيتيس
فكلمات أبولو العليم بخفايا الغيب
بدتْ لها خيرَ ضمانٍ لحياة ابنها.
وطَوالَ السنواتِ التي كان فيها أخيلُ يكبر
وملامحُه الجميلة تغدو مفخرةَ ثيساليا
بقيتْ كلماتُ الرب محفورة في ذاكرتها.
ولكنْ ذات يوم جاء بعضُ الشيوخ بالنبأ
من أن أخيلَ قد قُتل في طروادة
فقامتْ ثيتيس فشقَّتْ ثوبها الأرجوانيّ
وخلعتْ أساورها وخواتمها ورمتْها على الأرض

وراحت في غَمْرَةِ نواحها وبكائها تتذكر الماضي وتتساءل

ترى ما الذي كان يفعله الحكيم أبولو حينئذٍ

أين كان يتسكع هذا الشاعر، هذا الذي أدلى بنبوءته العارفة في حفلة العرس

أين كان هذا النبي حين ذبحوا ابنها وهو في عز شبابه

فأجابها الشيوخ بأن أبولو نفسَه هو من نزل إلى طروادة

ليمكّن الطرواديين من قتل أخيل.

جنازة ساربيدون

الحزن يُثْقِلُ كاهلَ زيوس
فقد قَتَل باتروكلوس ساربيدون
وها هو ابنُ مينيشيوس ومعه الآخيّون
يسرعون ليمسكوا بالجثة ويمثّلوا بها.

لكن زيوس لن يسمح بهذا
فابنُه الحبيب - الذي تركه يُقتل لأن الأقدارَ حكمتْ بذلك-
يستحقُّ، في الأقل، ميتةً مُشَرِّفة
وهكذا أصدر أوامره لفيبوس أن ينزل إلى السهل
مزوِّداً إياه بتعليمات للعناية بالجثمان.

رفع فيبوس جثمانَ البطل بمهابة وحزن
وحمله إلى النهر
وغسله من الغبار والدم
ولَأَمَ الجراحَ المُرِيعة، مُخفياً كلَّ أثر

وصبَّ عليه العطورَ الإلهية
وألبَسَهُ أردية أولمبية فاخرة، وبيَّض بَشَرَته
ورجَّلَ شعرَه الفاحم بمشطٍ مرصعٍ باللآلئ
وقوَّم أطرافه الجميلة، وهيَّأه للدفن.

والآن، وهو في عامه الخامس أو السادس والعشرين
بدا ساربيدون أَشْبَهَ بسائقِ عربةٍ مَلَكِيَّة
مصنوعةٍ من الذهب الخالص، تجرها أسرعُ الخيول
آخذاً استراحة، بعد أن فاز بالجائزة الأولى
في سباقٍ كبير.

وحين فرغ فيبوس من مهمته
دعا الشقيقين، النومَ والموتَ
ليأخذا الجثمان إلى ليكيا، الأرضِ الغنية.

ونحو تلك الأرض الغنية، نحو ليكيا،
سار الأَخَوانِ، النومُ والموتُ، مشياً على الأقدام

وحين بلغا أخيراً بوابةَ القصر الملكي
سلَّما الجسدَ المكللَ بالمجد
وعادا إلى مشاغلِهما وشؤونِهما.

وحالما استُلمَ الجثمانُ، هناك في القصر
بدأتْ مراسيمُ الدفن الحزينة
فعُزفتِ الألحانُ الجنائزية، وأريقتِ الخمور
من كؤوس القربان، وأقيمتِ الشعائرُ المناسبة
ثم جاء عمالٌ مَهَرَةٌ من المدينة، وبنّاؤونَ محترفون
فشيَّدوا الضريح وأقاموا النَّصْب.

ديونيسيوس وحاشيته

دامون الحرفيّ الماهر (لا أحدَ أمهرُ منه بين البيلوبونيس)
نَحَتَ ديونيسيوس وحاشيتَه بالرخام الباروسي
في القمة يتربع الإله بمجده السامي
لخطوته هيبة وسطوة
يليه أكراتوس. وبجانب أكراتوس
ميثي وهي تصب الخمر للساتير
من أمفورة مكللة باللبلاب.
وبقربهم هيديونوس اللطيف
بعينيه نصف المغمضتين، المثقلتين بالنعاس
بعدهم يأتي المغنّون
مولبوس وهيديميليس وكوموس
الذي يمسك بالشعلة المقدسة للموكب
ويحرص على إبقائها مشتعلة
وتيليتي الشديدة الحياء—

هؤلاء نَحَتَهُمْ دامون وهو يفكر طوال الوقت
بالأجور التي سيقبضها من ملك سيراقوسة
ثلاثة طالينات كاملة، مبلغ كبير
إذا أضافه إلى ما لديه من نقود
فسيمكنه أن يعيش في بحبوحة، عيشة مترفة
وسيمكنه أن يشتغل في السياسة أيضاً
يا للسعادة! سيكون في مجلس الشيوخ
سيكون في المحفل السياسي.

جوادا أخيل

بكا جوادا أخيل
حين شاهدا باتروكلوس قتيلاً
- باتروكلوس الثابتَ الجَنان، القويَّ، الفتيّ -
لقد أثار غضبَهما، وهما الخالدان، عملُ الموت هذا
فراحا يهزان رأسيهما
ويطوّحان بعُرفيهما
ويدقان الأرض بحوافرهما
ويبكيان باتروكلوس
مدركَين أن الروح قد غادرتْه الآن
وأنه انتهى
وأنه بلا حول، ولا نَفَس
وأنه قد عاد من الحياة إلى العدم الكبير.

زيوس رأى الجوادَين الخالدَين يبكيان
فحزن لمرآهما، وقال: «كانت حماقةً مني
أنْ قدَّمتُكما هديةً في عُرس بيليوس
ما الذي تفعلانِه هناك بين معشر البشر التعساء
أُلعوبةِ القدر هؤلاء؟
أنتما يا من لا الموتُ يطالُكما ولا الشيخوخة
أتنزعجان للكوارث العابرة؟
لقد ورَّطكما البشرُ في مشاكلهم.»
لكن الجوادين النبيلين
واصلا سكْبَ دموعهما
على مصيبة الموت الأبدية هذه.

إنه هو

رجل من إيديسا، مجهول وغريب في أنطاكية
يكتب ويكتب بلا انقطاع. والآن، وقد فرغ من قصيدته الأخيرة
أصبحت لديه ثلاث وثمانون قصيدة.

لكنَّ كثرة الكتابة، ودِقَّةَ النَّظْم
أنهكتا الشاعر. وأرهقتْه الجُملُ الإغريقية المعقدة
فأصبح أخفُّ الأشياء ثقيلاً عليه.

إلا أنَّ فكرةً واحدة انتشلتْه من كآبته
تلك العبارة الرائعة التي كان لوقيانوس من قبل
قد سمعها في منامه
عبارة «إنه هو.»

الملك ديميتريوس

يقال إن الملك ديميتريوس (ذا الروح النبيلة)
حين تخلّى عنه المقدونيون
وثَبَتَ أنهم يفضلون بيروس
لم يَسْلُكْ سلوكَ الملوك
بل خلع رداءَه الذهبي
وطرح نعليه الأرجوانيين
وارتدى على عجلٍ ملابسَ بسيطة وهرب
كأيِّ ممثلٍ يغيّر ثيابه
عند انتهاء العرض ويغادر المسرح.

المدينة

إنك تقول: «سأذهب إلى بلدٍ آخر
سأمضي إلى ساحلٍ جديد
سأجد مدينة أخرى أفضل من هذه
فكلُّ ما أفعله هنا خطأ
قلبي مدفون كأيِّ شيءٍ ميت
حتى متى أَتْرُكُ عقلي يتعفن هنا؟
أينما أَدَرْتُ وجهي، أينما نظرت
أرى خرائب حياتي السوداء
هنا، حيث أنفقتُ سنواتِ عمري، أَضَعْتُها، دمَّرتُها.»

لكنك لن تجد بلداً آخر، لن تجد ساحلاً آخر
فهذه المدينة ستتبعك. سوف تمشي في الطرق ذاتها
ستشيخ في الحواري نفسها
سيشيب شعرك في المنازل عينها
وفي النهاية ستصل إلى هذه المدينة نفسها

لا تَأمُلْ أن تجد ما ترتجي في مكانٍ آخر
ليست لديك سفينة، ليس أمامك مِن طريق
فكما خرّبتَ حياتك هنا، في هذا الركن الصغير
فهي خرابٌ أينما ذهبت.

ولاية

يا له من حظٍّ سيّئ
أنتَ خُلقتَ للأعمال الكبرى الرائعة
لكنَّ القَدَرَ الجائر
يأبى الوقوفَ معك
يأبى أن يكونَ النجاحُ حليفَك
والتقاليد الحقيرة
تعترض طريقَك
وكذلك التفاهة واللامبالاة
ولكنْ كَم هو مخيفٌ ذلك اليومُ الذي تستسلم فيه
(اليومُ الذي تتنازل فيه وتستسلم)
فتغادرُ سيراً على الأقدام إلى سوسا
لاجئاً إلى الملك أرتاكسيركسيس
الذي يُكْرمك ويمنحك مكاناً في بلاطه
ويَعرِض عليك ولايةً تَحْكُمُها، وأشياءَ أخرى
فتَقْبَلُ بذلك، وأنت في غَمْرَةِ يأسك

تَقْبَلُ بذلك على مضض

فروحُك تتوق إلى أشياءَ أخرى

روحك تتحرق إلى أشياء أخرى

إنها تريد هُتافَ الشعب، تريد الثناءَ من معلمي الحكمة

العفارمَ والـ «أحسنتَ» المنتزعةَ بشقِّ الأنفس

ساحاتِ التجمع، والمسارحَ، وأكاليلَ الغار

كيف لأرتاكسيركسيس أن يمنحَك هذا كلَّه؟

أين ستعثر على هذه الأشياء في الولاية؟

ومِن دونِ هذه الأشياءِ أيَّةَ حياةٍ ستحيا؟

الخامس عشر من آذار

لا تطمئنَّ للعَظَمةِ يا قلبي
وإذا لم تستطع قَهْرَ طموحِك
فاستمرَّ فيه ولكنْ بحَذَرٍ، باحتراس
وكلما تقدمتَ أكثر زِدْتَ حيطةً وانتباهاً.

وحين تَبلُغ أوْجَك، حين تُصبِحُ قيصرَ آخِرَ الأمر
رجلاً شهيراً ذائعَ الصيت
فاحذَرْ، فوق كلِّ شيء وأنت تَخرُج إلى الشارع
أنتَ - الرجلَ البارزَ الماسكَ بزمام السلطة الذي تَتْبَعُهُ الحاشية -
احذَرْ، إذا صادف أنْ خَرَجَ من بينِ الحشد
شخصٌ يُدعى أرتميدوروس، إذا اقترب منك وهو يقول في عَجَلَة
«إقرأْ هذه الورقةَ الآن، فإنَّ فيها أمراً خطيراً يَخُصُّك»
احذَرْ أن تَتَلَكَّأَ في الوقوف، لا تترددْ في أن تؤجِّل كلَّ حديثٍ آخر
وكلَّ عملٍ آخر

لا تترددْ في أنْ تَصْرِفَ الناسَ عنك، على اختلافِ أشكالِهم
أولئك الذن يَهتِفون لك، الذين يركعون أمامك (يمكنك أن تراهم
فيما بعد)
دع حتى مجلس الشيوخ ينتظر
واعرفْ حالاً المحتوى الخطير
لرسالة أرتميدوروس.

الرب يتخلى عن أنطونيو

حين يَطْرُقُ سَمْعَكَ في الليل
عزفُ موسيقى عابرة
موسيقى جميلة، وأصوات صادحة
فلا تنعَ الحظَّ الذي يَخْذُلُكَ الآن
لا جدوى من ذلك
لا تنُحْ على ضياع أعمالك، على خراب خططك
التي تحولتْ إلى أوهام
تصرفْ كأنك كنتَ مستعداً لهذا، كما يفعل الشجعان
وقل وداعاً للإسكندرية التي تغادرك
والأهم ألا تنخدع
لا تقل لنفسك إن هذا مجردُ حُلْمٍ
لا تتشبثْ بآمالٍ كاذبة
بل كن كمن استعدَّ لذلك
كن شجاعاً كما يليق بمثلك

اقترب من الشبّاك بخطوات ثابتة

واصغِ بوَجْد، بعاطفة

ولكن لا تشْكُ ولا تتوسل، كما هو ديدنُ الجبناء

بل اصغِ لهذه المتعة الأخيرة

لتلك الأصوات، تلك الآلات الرائعة

تلك الموسيقى الروحانية

وقل وداعاً للإسكندرية التي ضاعت من يدك.

النهاية

يُخُضُّنا الخوف، تَنْخُرُنا الريبة
عقولنا مستثارة، عيوننا تجحظ رعباً
نأكل أنفسنا، نفكر كيف ننجو من الخطر الداهم
الخطرِ المرعبِ الذي يتهددنا
ثم نكتشف أننا مخطئون
ليس ثمة خطرٌ في الطريق
الأخبارُ كاذبة
(أو أننا لم نسمعْها جيداً، أو لم نفهمْها)
وفجأةً تَنزِلُ مصيبةٌ أخرى ليست في بالنا أبداً
فتضربنا كالطوفان
ولأننا لسنا مستعدين، إذ لم يعد لدينا وقتٌ نستعد فيه
تَجْرُفُنا معها.

أغنية أيونيَّة

إذا كنا حطَّمنا تماثيلَهم
إذا كنا طردناهم من معابدهم
فالآلهة لم يموتوا
فهم ما زالوا يعشقونكِ، يا أرضَ أيونيا
وذكراكِ ما زالت حيةً في أرواحهم
وحين يُطِلُّ عليكِ فجرُ آب
ستتسلل نسمةٌ من أرواحهم في هوائك
وأحياناً يَخطِفُ سرّاً
طيفٌ فتيٌّ من أطيافهم
عابراً تلالَكِ.

نحَّاتُ تيانا

لعلكم سمِعتم بي من قبلُ، فأنا لستُ مبتدئاً
فقد مرَّ الكثيرُ من الحَجَر من بين يديَّ
وفي بلادي، في تيانا، يعرفني الناس جيداً
وهنا أيضاً طلبَ العديدُ من النبلاء
أن أصنعَ تماثيلَ لهم.

دعوني أعرضْ عليكم بعضَها الآن.
أمعنوا النظرَ في ريا هذه
وقورٌ، ممتلئةٌ حِلْماً، عريقة
تَمَعَّنوا في بومبي، في ماريوس،
في أميليوس باولوس، في سكيبيو أفريكانوس.
إنهم يبدون حقيقيّين، قَدْرَ ما أمكنني أن أجعلَهم.
أنظروا إلى باتروكلوس (هذا يحتاج إلى لمسةٍ أخيرة)
وقرب كتلة الرخام المصفرَّة هناك
تلك القطع هناك، ذاك قيصرون.

وما زلت أشتغل على بوزايدون.
إنني أَدْرُسُ الخيولَ خصوصاً، كيف أشكِّلها
يجب أن تكون خفيفة
بحيث تبدو أجسادُها
بحيث تبدو أقدامُها
وكأنها لا تَمَسُّ الأرض
بل تجري على البحر.

ولكنْ هذا هو العملُ الذي أُحِبُّهُ حقاً
الذي بذلتُ فيه قُصارى جُهدي
الذي اشتغلتُه بأحاسيسي كلِّها وبعنايةٍ فائقة
إنه هو، ذلك الذي حَلَمْتُ به ذاتَ نهارٍ صيفيٍّ دافئ
حين حلَّقَ ذهني بحثاً عن مثالٍ أعلى
إنه هيرميس الشاب.

إيثاكا

حين تبدأُ السفَرَ إلى إيثاكا
صلِّ من أجل أن يكونَ الطريقُ طويلاً
حافلاً بالمغامرة، زاخراً بالمعرفة
لا تخشَ الليستريغونيين والسايكلوبات وبوزايدونَ الغاضب
أمثالُ هؤلاء لن تَراهم في الطريق
ما دامتْ أفكارُك سامية
ما دامتِ المشاعرُ المرهفةُ تلامسُ روحَكَ وجسدَك
لن ترى الليستريغونيين
ولا السايكلوبات، ولا بوزايدونَ الغاضب
إلا إذا كنتَ تَحْمِلُهم في روحِك
وإلا إذا وضعتْهم روحُك أمامَكَ.

تَمَنَّ أن يكونَ الدربُ طويلاً
أن تكونَ صباحاتُ الصيفِ كثيرة

أن تَدخُلَ موانئَ لم تَرَها من قبل
ببهجةٍ كبيرة، بسرورٍ بالغ
توقَّفْ في أسواق الفينيقيين
واشترِ البضائعَ الفاخرة
من فصوصِ اللؤلؤِ، والمرجانِ، والعنبرِ، والأَبَنوس
ومن العطورِ البهيجةِ بشتى أنواعِها
اشترِ قدْرَ ما تستطيع من العطور البهيجة
زُرِ العديدَ من المدن المصرية
وتَعَلَّمْ، تَعَلَّمْ من ذوي المعرفة.

لتكن إيثاكا في بالِك دائماً
وليكن هدفُك الأخيرُ هو الوصول إلى هناك
ولكن لا تستعجلْ نهايةَ الرحلة
ومن الأفضل أن تستمرَّ سنوات
حتى لو بلغتَ الجزيرةَ عجوزاً مهدماً
ولكن غنياً بما أحرزتَ في الطريق
غيرَ متوقعٍ أن تمنحَكَ إيثاكا الثروة.

إيثاكا منحتْك الرحلةَ الجميلة
لولاها لما تَجَشَّمْتَ عناءَ السفر
وما عدا ذلك، ليس لديها ما تمنحُه.

فإذا وجدتَ إيثاكا فقيرة، فهي لم تخدعْكَ
وبما حصلتَ عليه من حكمة، وبما كسبتَ من خبرة
سوف تعرف عندئذٍ ما الذي تعنيه إيثاكا.

هيروديس أتيكوس

آه، أيُّ مجدٍ هذا، مجدِ هيروديس أتيكوس!

فحين وَصَلَ الإسكندرُ السلوقيُّ، أحدُ الحكماء الكبار
حين وصل إلى أثينا ليَخْطُبَ هنا
وجد المدينةَ مهجورة
لأن هيروديس غادرَها إلى الضواحي
والشبابُ كلُّهم تَبِعُوه إلى هناك كي يستمعوا إليه
فكتب الحكيم الإسكندر رسالة إلى هيروديس
يرجوه فيها أن يرسل شباب الإغريق إليه
لكن هيروديس الذكي أجاب حالاً
«أنا أيضاً سآتي مع شباب الإغريق.»

ما أكثر الشبابَ الآن، الآتين من الإسكندرية،
ومن أنطاكية، ومن بيروت
(خطباء الغد هؤلاء، تلاميذ المدرسة الهيلينية)

الذين احتشدوا حول موائدهم المختارة
حيث يدور الحديث عن الحكمة أحياناً
وأحياناً عن غراميَّاتهم الرائعة
وفجأة يجذب اهتمامَهم شيءٌ آخر، فيصمتون
وينسَون كؤوسَهم قربَهم لم تُمَس.
ويتأملون ما حَظِيَ به هيروديس من منزلة
أهناك حكيم آخرُ أنجز ما أنجزه هيروديس؟
ومثلما كان يَأمُل، ومثلما كان يفعل دائماً
فقد تَبِعه الإغريق (الإغريق!) تَبِعوه
لا ليُصدروا حكماً، لا ليناقشوا
لا ليختاروا حتى
بل ليتبعوا فقط.

عاشق الإغريق

احرصْ على أن يكون النقشُ بديعاً
والتعبيرُ رزيناً، فخماً
يُستحسَن أن يكون التاج ضيقاً
التيجان البارثية العريضة لا أحبها
ولتكنِ الكتابةُ بالإغريقية، كالعادة
لا تبالغ، دَعْكَ من الأبَّهة
لئلا يسيءَ القنصلُ تأويلَها
فهو دائماً يتشمم ويرفع التقارير إلى روما
ولكن لتكن كتابةً جليلةً، مَهيبة.
ولتضعْ، على الجهة الأخرى، شيئاً لافتاً، مميَّزاً
رامي قُرصٍ في عنفوان الشباب، مثلاً
وفوق كلِّ شيء أريدك
(أستحلفك بالله يا سيثاسبيس ألا تنسى هذا)
بعد كلمتَي «الملك» و«المخلّص»
أن تنقشَ اسمَ «عاشق الإغريق» بحروفٍ أنيقة.

ولا تجربْ شطاراتِكَ معي

لا تقل «وأين الإغريق؟» و«هل هناك أي شيء إغريقي

خلفَ زاجروس هنا، وراءَ فراتا؟»

فما دام من هو أكثر بربريةً منا قد كتبها

فلنكتبْها نحن أيضاً

ولا تنس— أحياناً يزورنا بعضُ السفسطائيين من سورية

وبعضُ نظّامي الشعر والمتفيهقين

فنحن لسنا غرباءَ تماماً عن الإغريق، كما أحسب.

ملوك إسكندريّون

اجتمع الإسكندريون
ليشاهدوا أبناء كليوباترا
قيصرون وأخويه الصغيرين
الإسكندر وبطليموس
وتوجَّهوا بهم للمرة الأولى إلى الملعب
ليتوِّجوهم ملوكاً
وسط مسيرة عسكرية رائعة.

فأمَّا الإسكندر، فأعلنوه ملكاً
على أرمينيا، وميديا، وبارْثيا.
وأمَّا بطليموس، فسمَّوه ملكاً
على كيليكيا، وسورية، وفينيقيا.
وأمَّا قيصرون، فقد تقدَّمَ الجميع
مكسوَّاً بثوب من الحرير الوردي
وعلى صدره باقة من الخُزامى
وقد تَمَنْطَقَ بحزامٍ مزدوجٍ من الياقوت والشذر

وحذاؤه معقود برباطٍ أبيض
مزيَّنٍ بلآلئَ ورديَّة.
وقد منحوه لقباً أعلى
لقَّبوه بملك الملوك.

كان الإسكندريون يدركون طبعاً
أن هذا كله تمثيل وكلام فارغ.

لكن النهار كان دافئاً، شاعريَّاً
والسماء رائقة، لازوردية،
وملعب الإسكندرية آية من آيات الفن
والحاشية الملكية في أبهى حللها
وقيصرون يتوهج حسناً وجمالاً
(أبناء كليوباترا، في عروقهم دمٌ لاغيديٌّ)
وهكذا هُرِعَ الإسكندريون إلى الحفل
واستعرَ حماسُهم، وأطلقوا الهتافات
بالإغريقية، وبالمصرية، وبعضهم بالعبرية
مسحورين بالمشهد البديع
عارفين تمامَ المعرفة قيمةَ هذا كلِّه
وأيةَ كلماتٍ جوفاءَ وملوكيةٍ زائفة.

قَدْرَ الإمكان

إذا لم تكن تستطيع أن تتحكمَ بحياتِك
فحاولْ قَدْرَ الإمكان ألا تُذِلَّها
ألا تُبهدلَها بإقحامها في الزحام
في الرواح والمجيء، في اللغو الكثير
لا تمسكْها من خناقها وتجرجرْها هنا وهناك
معرِّضاً إيَّاها للتفاهات اليومية
للعلاقات والتجمعات
حتى تصبحَ حياةً غريبة، ثقيلةَ الوطأة.

نادراً جداً

إنه شيخٌ عجوز، محدودبُ الظهر
حطّمتْه السنواتُ والإسرافُ في الملذات
يَعْبُرُ الشارعَ الضيق بخطىً وئيدة
ولكنه حين يَدخُلُ بيته
لكي يَسْتُرَ حالتَه المؤسية وشيخوختَه
يفكرُ في الحِصَّة التي ما زالت لديه من الشباب.

فأشعارُه ما زال يرددُها الفِتْيةُ الآن
وما ابتكرتْه مخيلتُه من صور
ما زال ينعكس الآن في عيونهم المفعمة بالحيوية
والجمالُ الذي عبَّرتْ عنه كلماتُه
ما زالتْ تَطرَبُ له أجسامُهم القوية، المتناسقة.

لقد مَضَيْتُ

أنا لم أَحْرِم نفسي قطُّ
بل أطلقتُ لها العِنان
ومَضَيْتُ إلى الليالي المضاءة
إلى ملذاتٍ بعضُها حقيقي
وبعضُها من صُنعِ خيالي
وشَرِبتُ الخمرَ القويّة
كما يشرب الشهوانيّون البواسل.

في الدكّان

لَفَّها بعناية، بإتقان
في حريرٍ أخضرَ ثمين.

ورودٌ من الياقوت، زنابقُ من اللؤلؤ
بنفسجاتٌ من الجَمَشْت. لقد صنعها كما يريد
لذا بدتْ أجملَ مما يراها في الطبيعة
رغم أنها نسخةٌ منها. إذن سيُوْدِعُها في الخَزْنة

شاهداً على براعته، وعلى جُرأته
وحين يدخُل الدكانَ زبون

سيُخرج له بضائعَ أخرى، جواهرَ فاخرة أخرى
أساورَ، سلاسلَ، قلائدَ، خواتم.

ضريح ليسياس النحوي

حين تدخل مكتبةَ بيروت

إلى يمينكَ، ستجد ضريحَ الحكيم ليسياس النحوي.

دفنَّاه في البُقْعة المناسبة تماماً

قربَ أشيائه الحبيبة إلى قلبه.

ولعله ما زال يفكر فيها الآن، حتى وهو هناك

الحواشي، المتون، قواعد النحو

المخطوطات، مجلدات من التفاسير، كلها بالإغريقية.

وهكذا يمكننا أن نرى قبره ونُكْرمه

ونحن نمر من بين الكتب.

بعيداً

أَوَدُّ لو أروي هذه الذكرى . . .
لكنها باهتة الآن . . . لم يكد يتبقَّى منها شيء
فهي تقبع بعيداً جداً، في سنوات شبابي الأول.

بَشَرة كأنها الياسمين . . .
في ذلك المساء من آب – أكان آب؟ – ذلك المساء . . .
إنني بالكاد أتذكر العينين، كانتا – أظن – زرقاوين . . .
نعم، زرقاوين . . . كالياقوت.

ضريح إفريون

في هذا الضريح الفخم
المصنوع بأكمله من الجرانيت
المغطَّى بالكثير من البنفسج، والكثير من الزنبق
يَرْقُدُ إفريون الجميل
فتىً إسكندراني في الخامسة والعشرين من عمره
ينحدر، من جهة أبيه، من أصولٍ مقدونية عريقة
ومن جهة أمه، من سلالة من القضاة
كان تلميذاً لأريستوكليتوس في الفلسفة
ولباروس في الخطابة
وفي طيبةَ دَرَسَ الكتب المقدسة
وألَّف كتاباً في تاريخ مقاطعة أرسينو
هذا سيبقى على الأقل. ولكننا خَسِرْنا أثمنَ ما فيه
خسِرنا جماله
فقد كان نسخةً من أبولو نفسِه.

الثريَّا

في غرفة صغيرة عارية
إلا من قماش أخضرَ داكنٍ يكسو الجدران الأربعة
تتوهج ثريا جميلة متألّقة
وفي كلِّ لسانٍ من اللهب
يتقد شوقٌ شهواني
يتأجَّج حافزٌ شهواني.

الضوء المتوهج الذي يشع في الغرفة الصغيرة
المضاءة بلهب الثريا الساطع
ليس بالضوء العادي
فاللذاتُ الحسية لهذا الدفء
لم تُخلقْ للأجساد المترددة.

ثيودوتوس

إذا كنتَ حقاً من النخبة المصطفاة
راقبْ كيف تُحرِز السلطة
فمهما غَمَرَكَ المجد
ومهما هلَّلتْ لمآثرك
مدنُ إيطاليا وصقلية
ومهما استحصلَ مُعْجَبُوكَ في روما
من مراسيمِ تشريفٍ بحقكَ
فلا الفرحُ سيدوم، ولا النصر
ولن تَشعرَ بالتفوق – وما معنى التفوق أصلاً؟ –
حين يأتيك ثيودوتوس في الإسكندرية
برأسِ المسكين بومبي
على صينيةٍ ملطخةٍ بالدم.

ولا تعللِ النفسَ بأن حياتك المحدودة، الرتيبة، المبتذلة
لا مكانَ فيها لِمِثْلِ هذه المشاهد المروّعة
فلعل ثيودوتوس قد دخل الآن، في هيئةِ شبحٍ لا مرئي
بيتاً معيَّناً من بيوت جيرانك
حاملاً رأساً مرعباً آخر.

لكنَّ الحكماءَ يُحِسُّونَ بالأحداثِ الوشيكة

الناس يعرفون ما يقع الآن
أما الآلهة، المالكون الكليون والوحيدون للأنوار كلها
فيعرفون ما سيقع في المستقبل
ولكنْ من بين أحداث المستقبل، يعرف الحكماء ما هو وشيك الوقوع.

أحياناً، في ساعات التأمل العميق
تضطرب أسماعُهم، ويشعرون بالضجيج الغامض للأحداث الوشيكة
فيصغون في خشوع
بينما الناس في الخارج، في الشارع، لا يسمعون شيئاً.

بحر الصباح

دعني أقفْ هنا. دعني أنظرْ إلى الطبيعة برهة
إلى ساحل البحر الصباحي، وإلى السماء الصافية
بلونيها الرائعين الأزرق والأصفر
متوهجة، جميلة، كبيرة.

دعني أقفْ هنا. دعني أُوْهِمْ نفسي بأنني أرى هذه الأشياء حقاً
(وقد رأيتُها فعلاً حين توقفتُ هنا أولَ مرة)
وأنها ليست مجردَ خيالاتٍ، وذكريات
ورؤى من مباهجي الحسية البعيدة.

أوروفيرنيس

إن هذا المنقوشةَ صورتُه
على قطعة الأربعةِ دراهمَ هذه
الذي يبدو مبتسماً
بوجهه الوسيم الرقيق
هو أوروفيرنيس بن أرياراثيس.

في طفولته أخرجوه من قصر أبويه الفخم
في كابادوكيا
وأبعدوه إلى أيونيا
لكي يكبُرَ هناك ويضيعَ بين الغرباء.

آه يا ليالي أيونيا المعربدة
هناك انغمر في الملذات حتى أذنيه
سالكاً في جُرأة سلوك الأغارقة الأصلاء
كان في أعماقه آسيوياً دائماً
أما في سلوكه وكلامه فإغريقي قح

ثيابه الإغريقية مزدانة بالفيروز
جسده مدهون بزيت الياسمين
وبين فتية أيونيا جميعاً
كان الأجملَ والأقربَ إلى الكمال.

ثم حين دخل السوريُّون كابادوكيا ونصَّبوه ملكاً
غَرِقَ في التَرَف الملكي
ووجد مُتْعَتَهُ الجديدةَ في اكتناز الذهب والفضة
راح يتباهى ببريق الثروات المكومة أمامه
أما عن البلاد وشؤون الحكومة
فلم يكن يعرف شيئاً مما يدور حوله.

فسارع الكابادوكيون إلى تنحيته
وانتهى به الأمر في سورية، في قصر دميتريوس
يرتع في الملذات والكسل.

ولكنْ ذاتَ يومٍ طرأتْ له فكرةٌ غريبة
قطعتْ عليه خموله
فتذكر أنه، هو أيضاً، عبر أمه أنتيوكيس
وتلك السيدةِ العجوز ستراتونيكي

ينحدر من سلالة الملوك السوريين
وأنه هو نفسه كان سلوقياً تقريباً
فخرج، لفترةٍ، عن تهتّكه وسُكره
وحاول، وهو نصف ثمل، القيامَ بمؤامرة خرقاء
حاول أن يفعل شيئاً، أن يخطط شيئاً
ففشل بشكل يُرثى له وانطوت صفحتُه.

لا شك أن نهايته قد دُونت في مكان ما، ثم ضاعت
أو أن التاريخ تجاوزها
وترفَّع، بحق، عن أن يسجّل
مسألة تافهةً كهذه.

إن هذا الذي ترك هنا
على قطعة الأربعة دراهمَ هذه
هذه اللمسةَ السحرية من شبابه الرائع
هذا النورَ من جماله الشعري
هذه الذكرى الجميلة لصبي أيوني
هو أوروفيرنيس بن أرياراثيس.

إنه يُقسم

إنه يُقسم بين الحين والحين أن يبدأ حياة أفضل
ولكنْ حين يأتي الليل بمواعظه
ومصالحاته، ووعوده
حين يأتي الليل بعنفوانه
عنفوان الجسد المتلهف، الراغب
يعود يائساً إلى الملذات المهلكة ذاتها.

ذاتَ ليلة

كانت الغرفة بائسة، رثة
منزوية فوق الحانة المشبوهة
يمكنك أن ترى الزقاق من الشبَّاك
قذراً، ضيقاً. ومن الأسفل
تأتي أصواتٌ صاخبة
لعمالٍ يلعبون الورق ويعربدون.

وهناك، على السرير المتواضع، المستهلَك
امتلكتُ جسدَ الحبيب، ورَشَفْتُ رحيقَ الشفتين
اللذيذتين، الورديَّتين، المُسْكِرتين
حتى أنني الآن، وأنا أكتب، بعد كل تلك السنوات
وفي بيتي المنعزل هذا، أسكر حين أذكرهما.

مانويل كومنينوس

ذات يوم حزين من أيلول
شَعَرَ الملك الجليل مانويل كومنينوس
بدنوِّ الموت
لكنَّ منجِّمي البلاط (المأجورين) زعموا
بأن الملك سيعيش سنواتٍ عديدةً أخرى
وبينما كانوا يَهْذُرون
تذكر الملك عرفاً قديماً
فأمر أن يجلبوا له
من دير الرهبان، أرديةً كنسية
فارتداها، وأسعده أن يظهر
في مظهر القسيس الورع أو الراهب الوقور.

محظوظون أولئك المؤمنون
الذين يختتمون أيامهم مثل مولانا الملك مانويل
يرتدون ثياباً متواضعة، ويرفلون في الإيمان.

استياء ديميتريوس بن سلوقس

استاء ديمتريوس بنُ سلوقس
حين عَلِمَ أن أحدَ ملوكِ البطالمة
قد وصل إلى إيطاليا في حالة زريَّةٍ جداً
ليس معه سوى ثلاثةِ عبيدٍ أو أربعة
رثَّ الثياب، راجلاً.
فمن شأن هذا أن يجعل أبناء قومه أضحوكة
أن يجعلهم ألعوبة في يد روما.
إن كونهم أصبحوا أشباه خدم للرومان
مسألة يعرفها ابن سلوقس في قرارة نفسه
وكون الرومان أصبحوا يمنحونهم العرش أو يسلبونه منهم حَسَبَ مزاجِهم
هذا أيضاً يعرفه
ولكن دَعْهُمْ، على الأقل، يحافظوا على فخامة مظهرهم
دعهم يتذكروا أنهم ما زالوا ملوكاً
أنهم ما زالوا يُدعَون ملوكاً.

هذا كان السببَ في استياء ديميتريوس بنِ سلوقس
ولهذا سارعَ فعَرَضَ على البطلمي
أردية أرجوانية، وتاجاً لألاءً
وجواهرَ نفيسة، وخدماً وأتباعاً بلا عدد
وعرض عليه أغلى خيوله
لكي يبدو في روما في مظهر لائق
كملكٍ إغريقيٍّ إسكندراني.

لكنَّ سليلَ لاغيدس هذا الذي جاء أصلاً لكي يتسوَّل
كان يعرف ما يريد، فرفض عطايا ديميتريوس
إذ ليست به حاجةٌ لمظاهر الترف تلك
وهكذا دخل روما بثيابه الرثة وهيئته المتواضعة
وسَكَنَ في بيتِ أحد الحرفيين الصغار
ثم قدَّم نفسه لمجلس النواب
بوصفه واحداً من خَلْقِ الله المساكين، المشردين
وبهذه الطريقة يمكنه أن ينجحَ في الشحاذة.

في الشارع

وجهه الوسيم شاحب قليلاً
عيناه الكستنائيَّتان ذاهلتان
إنه في الخامسة والعشرين من العمر
لكنه يبدو في العشرين
ملبسه ينمُّ عن ذوق
لمسة لونية في ربطة عنقه
شيء من الأناقة في ياقته
يمشي في الشارع بلا هدف
كأنه ما زال مخدَّراً باللذة الشاذة
اللذة المحرمة التي ذاقها قبل قليل.

حين تَهِيجُ الرؤى

حاولْ أن تحافظَ عليها أيها الشاعر
رؤى غرامياتك، حافظ على القليل
الذي يمكنك الحفاظُ عليه
دُسَّها في قصائدك
حاول أن تُديمَها أيها الشاعر
حين يَهِيْجُها هائجٌ في دِماغك
في الليل، أو في عِزِّ الظهر.

أمام تمثال إنديميون

أَصِلُ إلى لاتموس قادماً من ميليتوس
بعربةٍ بيضاءَ تجرها أربعةُ بغالٍ
بيضاءَ كالثلج، مزينةٍ بالفضة
لتأدية الطقوس المقدسة لإنديميون (الأضحيات وإراقة الخمور)
لقد أبحرتُ من الإسكندرية
في سفينة أرجوانية، ثلاثيةِ المجاذيف
وها هو التمثال. أحدقُ وقد تملكتْني النشوة
في جمال إنديميون الآسر
وبينما يُفْرِغُ عبيدي سلالَ الياسمين، أسمعُ هُتافاً
يوقظ في صدري سعادةَ الأيام الغابرة.

عينان رماديَّتان

بينما أتأمل قطعة من الأوبال الرمادي
تذكرتُ عينين رماديتين جميلتين
كنتُ رأيتُهما، بلا شك، قبل عشرين سنة.

أحببنا بعضنا شهراً
ثم ذهب هو إلى سْميرنا، كما أظن
ليعمل هناك، ولم نر بعضنا بعدها

لا بد أن العينين الرماديتين (هذا إذا كان حياً) قد أصبحتا قبيحتين والوجه الوسيم قد طاله الفساد.

ولكن، يا ذاكرتي العزيزة، احفظي تلكما العينين مثلما كانتا وأعيدي، يا ذاكرتي العزيزة، كلَّ ما في وسعك أن تعيدي الليلة من حبي هذا.

في مدينة بمملكة أوسرويني

البارحةَ، حوالي منتصف الليل، جلبوا صديقنا
ريمون من الحانة مصاباً بجرح في مشاجرة
ومن خلال الشباك الذي تركناه مفتوحاً
شعَّ القمر على جسده الجميل وهو مستلقٍ على السرير
نحن هنا خليط: سوريون، يونانيون، أرمن، ميديون.
وريمون واحد من هؤلاء أيضاً.
ولكنْ، البارحةَ حين أضاء القمر وجهه الشهي
تذكرْنا حوارَ «كارمديس» لأفلاطون.

أَحَدُ آلهتِهم

أحدُ آلهتهم مرَّ في ميدان سلوقيا
قبيل نزول الليل
في هيئة شاب طويلِ القامة كاملِ الوسامة
وسعادةُ الخلود تشع من عينيه
شعره أسود معطر
والمارة يرمقونه
ويتساءلون: أهناك من يعرف هذا
أهو إغريقي من سورية أم هو غريب
ولكن البعض ممن راقبوه جيداً
أدركوا حقيقة الأمر وأفسحوا له الطريق
وبينما كان يختفي تحت السقائف
مغموراً بالظلال وأضواء المساء
متجهاً إلى تلك المَنْطِقة من المدينة
التي لا تنبعث فيها الحياة إلا ليلاً
بحفلات التهتك والمجون

وجميع أنواع السكر والفسوق
راحوا يتساءلون أيُّ آلهتِهم هو يا ترى
ومن أجل أية مُتعة مشبوهة
قدِم إلى شوارع سلوقيا
نازلاً من قصوره السماوية المقدسة.

قبر ياسيس

أنا ياسيس أَرْقُدُ هنا، أنا الفتى
المشهور بجماله في هذه المدينة العظيمة
الحكماء معجبون بي
وكذلك البسطاء من عامة الناس
وأنا سعيد بهم على السواء.

ولكنْ، لأن العالم جعل مني نرسيس وهيرميس
فقد مزَّقني الفجور، قتلني.
أيها المسافر، إذا كنتَ إسكندرانياً فلا تلْعَنِّي
فأنت تعرف المدَّ الجارف لحياتنا
وتعرف الحمّى التي نتلظى فيها
وما فيها من متعة هائلة.

في المساء

تلك أشياءُ لا تدوم طويلاً، على كل حال
تعلمتُ هذا من تجارب السنين
لكنَّ القَدَرَ عجَّل في نهايتها
حياتنا الجميلة تلك كانت وجيزة
ولكنْ ما كان أقوى العطر
ما كان أروعَ السريرَ الذي نمْنا عليه
وأية متعة تلك التي أسلمْنا لها جسدينا.

لقد زارني صدى من أيام البهجة
صدى من تلك الأيام عاودَني
شيء من نار الشباب، شبابَينا معاً
فأخذتُ رسالة في يدي
ورُحتُ أقرؤُها وأعيد قراءتها حتى أظلمتِ الدنيا.

وخرجتُ إلى الشرفة كئيباً
خرجتُ كي أغيِّر مزاجي على الأقل
بأن أنظر إلى المدينة التي أحببتُ
وإلى حركة الناس في الشارع، وفي الدكاكين.

قيصرون

البارحة قلَّبتُ عدداً
من مخطوطات البطالمة.
لكي أتحرى حقائق العصر
ولكي أُزْجِي الوقتَ أيضاً
فوجدتُ فيضاً من عبارات الإطراء والثناء
تُغدَق على الجميع
الجميع رائعون، الجميع يرفلون بالمجد
الجميع عظماء، كرماء
كل خطوة يخطونها تنُمُّ عن الحكمة
أما نساء تلك السلالة فكلُّهن ماجدات
كلُّهن بيرينيس وكليوباترا، كلهن موضع الإعجاب.

وبعد أن دقَّقتُ الوقائع
هممتُ بوضع الكتاب جانباً
حين لفتَ نظري ذِكْرٌ عابر للملك قيصرون
فاستولى على اهتمامي حالاً.

آه، ها أنتَ بسحرك الغامض

ليس ثمة في كتب التاريخ

سوى سطورٍ معدودة عنك

لذا شعرتُ بحرية أكبر

في أن أشكِّلَكَ في ذهني كما أُحِب

فجعلتُك وسيماً، متأججَ المشاعر

وأسبغتُ عليك من فني

جمالاً مشبوبَ العاطفة، حالماً

صَوَّرْتُك بوضوحٍ تام

حتى أنني البارحة، حين انطفأ المصباح

- لقد تركتُه ينطفئ عن عمد -

ظننتُ أنني أراك تدخل الغرفة

كأنك تقف أمامي مثلما وقفتَ، بلا شك،

أمام الإسكندرية المغلوبة

شاحباً، منهَكاً، مثالياً في حزنك

وما زلتَ تأمُل أن يُشفقَ الأوغادُ عليك

بينما كانوا يهمهمون: «قياصرة أكثر مما ينبغي.»

في الميناء

إيميس شاب في الثامنة والعشرين
وَصَلَ إلى هذا الميناء السوري الصغير
على ظهر سفينة من تينوس
لكي يتعلم تجارة البخور
لكنه مَرِضَ أثناء الرحلة
وما إنْ بَلَغَ الميناءَ حتى مات
مراسيمُ دفنهِ البسيطةُ تمَّتْ هنا
وقبل موته بساعات غمغم شيئاً عن «البيت» وعن «والدينِ عجوزين»
لا أحد يعرف عنهما شيئاً
ولا في أي بلد من هذا العالم الهيليني المترامي الأطراف
لكنَّ هذا أفضل، فهكذا سوف يَرقُد ميتاً
في هذا الميناء الصغير
بينما يبقى أبواه دائماً
يأمُلان أن يكون حياً.

قبر لانيس

لانيس الذي تُحب ليس هنا، يا ماركوس
ليس في القبر، حيث تأتي وتبكي ساعاتٍ طويلة
لانيس الذي تحب أقربُ إليك، إنه معك في البيت
حين تغلق البابَ وتحدق في صورته
التي احتفظتْ، على نحوٍ ما، بأفضلِ ما فيه.
التي احتفظتْ، على نحوٍ ما، بأفضلِ ما أحببتَهُ فيه.

أَتَذْكُرُ يا ماركوس يومَ جلبتَ الرسّام الكيريني الشهير
من قصر القنصل
ما إنْ وقعتْ عيناه على صديقك
حتى راح يحاول - بأي دهاء وبأي مكر - إقناعَه
بأن يرسمه على غرار هياكنث
(كي تحظى لوحتُه بشُهرةٍ أكبر)

لكنَّ لانيسَـكَ هذا رفض أن يُعِيرَ جماله هكذا
وأصرَّ على ألا يُرسَمَ في صورة هياكنث
ولا في أية صورةٍ غيرِ صورته
صورةِ لانيس بن راميتيكوس الإسكندراني.

مُهلةُ نيرون

لم يأبه نيرون لسماعه النبوءة
في معبد دلفي
«حذار من الثلاثة والسبعين عاماً.»
إذ ما زال أمامه وقتٌ طويل ليتمتع بحياته
فهو في الثلاثين الآن
والمهلة التي حددها له الرب كافية
لكي يهيّئَ نفسه للمخاطر القادمة.

سيعود الآن إلى روما تعِباً قليلاً
لكنه تَعَبٌ لذيذ
فقد كانت رحلتُه كلُّها متعةً متصلة
قضّاها في المسارح والحدائق والملاعب
أما الأمسياتُ التي أمضاها في المدن الإغريقية
فيا لها من سعادة عارمة، خصوصاً الأجساد العارية . . .

هكذا كان يفكر نيرون

بينما كان (غالبا) في إسبانيا يُحشِّد جيوشه ويدربها سراً

(غالبا) العجوز ذو الثلاثة والسبعين عاماً.

منذ التاسعة

الثانيةَ عشرةَ والنصف. لقد مرَّ الوقتُ بسرعة
منذ التاسعة حين أشعلتُ المصباح
وجلستُ هنا. جلستُ هنا دون أن أقرأ
دون أن أتكلم. أتكلم مع مَن
وأنا وحدي في البيت.

منذ التاسعة حين أشعلتُ المصباح
ظهرتْ أمامي رؤيا جسدي في شبابه
وذكّرتْني بالغرف المغلقة المثقلة بالعطر
وباللذاتِ الغابرة— ويا لها من لذَّات جريئة!
وعرضتْ أمامي أيضاً
شوارعَ لم تَعُدْ مألوفة
أماكنَ تَعِجُّ بالحركة لم يعد لها وجود
مسارحَ ومقاهيَ كانت هنا ذات يوم.

رؤيا جسدي في شبابه
جلبتْ معها ذكرياتٍ حزينةً أيضاً
مآتمَ عائلية، لحظاتِ فراق
مشاعرَ أناسٍ أُحبُّهم، مشاعرَ الأموات
الذين لم ينالوا ما يستحقون.

الثانيةَ عشرةَ والنصف. ما أسرعَ ما مرَّت الساعات.
الثانيةَ عشرةَ والنصف. ما أسرعَ ما مرَّت السنوات.

إيميليانوس موني الإسكندراني

628 - 655 م

بكلماتي، بتعابير وجهي، بحِيَلي
سأصنع لنفسي درعاً رائعة
أواجه بها الأشرار
بلا خوف ولا ضعف.

سيحاولون أن يؤذوني
ولكن، بين من سيدنون مني،
لا أحدَ سيعرف موضعَ جراحي، أو نقاطَ ضَعفي
تحت ستار الأكاذيب.

كلمات كبيرة، كلمات إيميليانو موني هذه
ولكنْ هل لَبِسَ تلك الدرعَ حقاً؟
يبدو أنه لم يلبسْها كثيراً
فقد مات في صقلية، وهو في السابعة والعشرين.

لتبقى

لا بد أنها كانت الواحدةَ ليلاً
أو الواحدةَ والنصف

في إحدى زوايا الحانة
خلفَ حاجز خشبي
الحانة مهجورة، لا أحد سوانا نحن الإثنين
وثمة مصباح نفطيٌّ بالكاد يضيء المكان
والنادل غلبه النعاس قرب الباب.

لم يكن هناك أحدٌ ليرانا.
لكننا كنا من الهياج
بحيث لم نعد نحذر.

ملابسنا نصف مفتوحة، ولم تكن كثيرة
فشهر تموز المبارك كان لاهباً.

متعة جسدينا وهما يلتقيان
من خلال الثياب نصف المفتوحة
والتعرّي السريع— رؤيا ما حدث قبل ستة وعشرين عاماً
تأتي الآن لتبقى في هذه الأبيات.

في السفينة

هذا التخطيط الصغير بالرصاص
يشبهه بلا شك.

لقد رُسم بسرعة على ظهر سفينة
عصرَ يومٍ ساحر
ومن حولنا بحرُ آيونيا.

إنه يُشبهه. لكنني أتذكره أجمل
كان حساساً بصورة مَرَضيَّة
وهذا أضاء ملامحه.
إنني أجده الآن أجمل
وذاكرتي تستعيده من الزمن.

من الزمن. كلُّ هذه الأشياء موغلة في القدم
التخطيط، والسفينة، ووقت العصر.

عن ديميتريوس سوتر

162 - 150 ق.م.

كل توقعاته كانت خاطئة

كان يحلم بالقيام بأعمال عظيمة
أن يضع حداً للهوان الذي ترزح تحته بلاده
منذ معركة ماغنيسيا
أن يعود بسورية إلى سابق مجدها
بجيوشها، بأساطيلها،
بقلاعها المنيعة، بثرواتها.

لقد عانى، لقد تجرَّع المر في روما
شعر بذلك في أحاديثه مع أصدقائه الشباب
من أبناء الذوات
وسط الأطعمة الشهية، ومظاهر التهذيب الكاذب
التي كانوا يبدونها له

هو ابن الملك سليوقوس بن فيلوباتور
شعر باللامبالاة الموارَبة
بالسلالات الهيلينية التي أفل نجمُها
ولم تعد تصلح للأعمال الجدية
لم تعد كِفئاً لقيادة الشعوب
لم تعد صالحة إطلاقاً.
وحين يخلو إلى نفسه، كان الغضب يغلي في صدره
فيُقسم أن الأمور لن تسير أبداً كما يتوهمون
أليست لديه إرادةٌ حديدية؟
إذن سيكافح، سيعمل، سيصحح الأخطاء.

ولكن ليته يستطيع أن يجد سبيلاً إلى الشرق
كيف يعثر على طريقة يهرب بها من إيطاليا
إذن لاستطاع أن يَنقُلَ الحيوية والطاقة اللتين تملآن الآن روحه
إلى الشعب كله.

آه، ليته يستطيع أن يبلغ سورية
لقد كان صغيراً جداً حين غادر بلاده
حتى أنه لا يكاد يتذكر ملامحها
ولكنه، في أفكاره
كان يتأملها كشيء مقدس

شَمْسُ العَصْر

هذه الغرفة أعرفها جيداً
لقد أصبحتْ مكتباً لرجال الأعمال
وكذلك الغرفة المجاورة. البيت كله أمسى مكاتب
للوكلاء، والتجار، والشركات.

ولكن لَكَمْ هي مألوفة، هذه الغرفة!

هنا قرب الباب كانت الأريكة
أمامَها بساطٌ تركي
وقريباً منها الرفُّ، عليه جرتان صفراوان
على اليمين - لا، بل أَمام الباب - خزانةُ ملابسَ ومرآة
وفي الوسط طاولة اعتاد أن يكتب عليها
وثلاثةُ كراسي خيزران كبيرة
وقرب الشباك كان السرير
حيث مارسْنا الحب مراراً.

لا شك أن تلك الأشياء العتيقة ما زالت في مكان ما.

قرب الشباك كان السرير
وكانت شمس العصر تصل إلى منتصفه

وذات يوم في الرابعة عصراً افترقنا
لأسبوع واحد فقط
لكن ذلك الأسبوع امتدَّ إلى الأبد.

داريوس

الشاعر فيرنازيس مستغرق في تأليف
الجزء الأهم من ملحمته الشعرية
كيف اعتلى داريوس بن هيستاسبيس
عرشَ بلاد فارس
(ملكُنا الجليل ميثريداتيس
الملقبُ بديونيسيوس وأوباتور منحدرٌ من سلالته)
ولكننا في حاجة إلى التأمل هنا
يجب أن نحلل المشاعر التي لا بد أن داريوس
أحسَّ بها
هل أحس بالغرور
أم أحس بنشوة النصر
لكنْ لا— لعله أدرك زَيْفَ الأمجاد وخَواءَها
واستغرق الشاعرُ في التفكير.

لكنه فوجئ بدخول خادمه ركضاً
معلناً أَشَدَّ الأنباءِ خطورةً
لقد اندلعتِ الحربُ مع الرومان
ومعظم جيشنا عَبَرَ الحدود.

وذَهَلَ الشاعر. أيةُ مصيبة!
كيف لمليكنا الجليل، الملقَّب بديونيسيوس وأوباتور
أن يَشْغَلَ نفسَه الآن بقصائدَ إغريقية؟
في وسط الحرب - تصور، قصائد إغريقية!
ونَفِدَ صبرُ فيرنازيس. يا للحظ النكد!
لقد بلغتْ به الثقة أحياناً أنه بقصيدته «داريوس» هذه
سيميّز نفسَه، وسيُخرِس إلى الأبد أفواهَ النقاد الحاسدين.
أيُّ تأخير! أيُّ تأخير لخططه!
ولكنْ لو كان التأخير وحده لهان الأمر.
لنرَ إذا كانت مدينةُ أميسوس قادرةً على حمايتنا
إنها ليست محصنة جيداً
والرومان أعداء رهيبون
هل سيمكننا أن نَهزمَهم، نحن الكابادوكيين؟
هل سيمكننا في زمانٍ كهذا أن نواجه الجيوش الجرارة؟
يا أربابَنا العظام، يا حماةَ آسيا، ساعدونا.

ولكن، وسط كل هذا الاضطراب والقلق،
كانت الفكرة الشعرية تأتي وتذهب في إلحاح
الأرجح هو الإحساس بالغرور والنشوة
لا بد أن داريوس أحس بالغرور والنشوة.

نبيل بيزنطي يكتب الشعر في المنفى

دع التافهين يسمّوني تافهاً
فأنا الأكثر دقة في القضايا الجادَّة
لا أحد أَعْرَفُ مني بشؤون الكنيسة
أو الكتبِ المقدسة، أو الشرائعِ الكنسية
فقد كان بوتانيتيس يستشيرني قبل الجميع
حين يعتريه الشك، أو حين تُشكل عليه
مسألة كنسية. ولكنني، وأنا منفيٌّ هنا
(اللعنة على الشريرة إيريني دوكاينا
التي كانت السبب)، يكاد يقتلني الضجر
فلا غرابةَ أن أسلّي نفسي
بكتابة قصائدَ سداسيةٍ، أوثمانية
أو أسلي نفسي بالحكايات الأسطورية
لهيرميس، أو أبولو، أو ديونيسيوس
أو أبطال صقلية أو البيلوبونيس

أو أنظم أبياتاً إيامبية متقنة

أبياتاً - اسمحوا لي أن أقول -

يعجز عن تدبيجها رجالاتُ الأدب في القسطنطينية

ولعل مهارتي هذه هي السبب في تحاملهم عليَّ.

فضل من الإسكندر بالاس

لست منزعجاً لأن عجلةً من عربتي انكسرتْ
فخَسِرْتُ ذلك السباقَ السخيف
سوف أُمضي الليلَ في احتساء الخمور الفاخرة
بين الورود الجميلة. فأنطاكية مِلْكي
أنا الفتى الأكثر مجداً.
أنا نقطة ضعف بالاس، أنا معبوده.
وغداً سترون، سيقولون إن السباق لم يكن عادلاً
(ولو كنتُ قليل الذوق، وأمرتُهم سرّاً
لمنح المنافقون الجائزة الأولى لعربتي العرجاء.)

بدايتها

بعد أن قضيا وطريهما من اللذة المحرَّمة
نهضا من الفراش وارتديا ثيابهما على عجل
صامتَين. غادرا البيت منفردَين
يتلفتان متوجسَين. وبينما هما ماشيان في الشارع
قلقَين، بدا كأنهما يرتابان
بأنَّ شيئاً من حولهما يشي بهما
ويُنْبئ عن نوع السرير الذي ناما فيه منذ برهة.

ولكن لَكم استفادتْ حياةُ الفنان من هذا!
فغداً، أو بعد غد، أو بعد سنوات
ستؤلَّف الأشعارُ العظيمة التي كانت بدايتُها هنا.

ديماراتوس

في محاورة بينهما
اقترح بروفيري على السفسطائي الشاب
أن يكتب عن «شخصية ديماراتوس»
فقال هذا (على أن تُحَسَّنَ بلاغياً فيما بعد):

«بدأ أولاً في بلاط الملك داريوس
ثم صار واحداً من حاشية الملك إكسيركسيس
والآن، بعد طول انتظار، ومع إكسيركسيس وجيشه
سيحظى ديماراتوس بالحماية.

لقد تعرض لظلم كبير
فهو ابن أريستون. وبلا أدنى حياء
رشا أعداؤُه كهنةَ دلفي
ولم يكفِهم حرمانُه من الملوكية

بل، حين أذعن أخيراً
وقرر أن يعيش زاهداً كأيٍّ مواطن بسيط،
تعمدوا إهانته أمام الناس
فقد كان عليهم أن يُذلّوه أمام الملأ أثناء المأدبة.

لهذا فهو يخدم إكسيركسيس بحماس كبير
فهو أيضاً سيعود إلى سبارطة
برفقة الجيش الفارسي العظيم
وسيصبح ملكاً كما كان
وسيطرد ليوتيكيديس شرَّ طردة
سيذله، هذا المتآمر.

وهكذا كانت الأيام تمر عليه مشحونة بالقلق
كان يتشاور مع الفرس، كان يبيّن لهم
كيف ينبغي أن يتصرفوا
لكي يحتلوا اليونان.

همٌّ كثير، تفكيرٌ كثير.

لقد ملأ السأمُ أيامَ ديماراتوس

همٌّ كثير، تفكيرٌ كثير.

لم يَهْنَأْ ديماراتوس بلحظة واحدة من الفرح

فما يشعر به ليس من الفرح في شيء

(لا ليس فرحاً. إنه لا يعترف بفرح كهذا.

وكيف يسميه فرحاً وقد بلغ حظُّه التعيس ذُروتَه؟)

فقد أثبتتِ الأحداث بوضوح

أن الإغريق هم مَنْ سينتصر.

صانع طاسات الخمر

على طاسة الخمر هذه
المصنوعة من الفضة الخالصة
خصيصاً لبيت هيراكليديس
حيث يسود الذوق الرفيع
أُنظرْ إلى هذه الأزهار الجميلة، وهذه السواقي، وهذا الزعتر
وفي المنتصف وضعتُ هذا الفتى الوسيم
العاري، الجذاب
وإحدى ساقيه غاطسة في الماء
آه، ما أكثر ما تضرَّعتُ إليكِ أيتها الذاكرة
أن تُحْسِني قِيادي
كي أرسم وجه الفتى الذي أحببتُ
مثلما كان ذات يوم
ولَكَمْ كان ذلك صعباً
فقد مرت خمسَ عشرةَ سنةً تقريباً
منذ أن سقط صريعاً
في هزيمة ماغنيسيا.

حزن جيسون بن كلياندر
الشاعر في كوماجيني

595 م

أن يشيخ الجسد هكذا، أن يذبل الوجه هكذا
يا لها من طعنة
لا أستطيع احتمالَها
إنني ألجأ إليكَ أيها الشعر
أنت يا من تفهم في الطب
عسى أن تخدِّر الألم
بشطحةِ خيالٍ، أو كلمة.

إنها طعنة من سكين رهيبة
هاتِ أدويتَكَ أيها الشعر
أشْغِلني عن الجرح، ولو إلى حين.

من مدرسة الفيلسوف الشهير

ظَلَّ يَدْرُسُ الفلسفةَ على يدَي أمونيوس ساكاس مدةَ سنتين
ثم مَلَّ من الفلسفة ومن ساكاس

فحَشَرَ نفسَه في السياسة
ولكنه هَجَرَها. فالحاكم كان أبله
وأولئك المحيطون به، ذوو الوجوه الواجمة، حمقى
يتحدثون الإغريقية بلكنة بربرية، الحقراء

وأثارت فضولَه الكنيسةُ بعضَ الشيء
فسَمَحَ لنفسه أن يُعمَّدَ وأن يُعَدَّ مسيحياً
ولكنه سرعان ما غيَّر رأيه
فسيوقعه هذا في وَرْطَةٍ مع أبويه الوثنيّين المتعصبين
وسيقطعان عنه المخصصات، يا للهول.

ولكنْ كان عليه أن يفعل شيئاً
فأصبح يتردد على بيوت الفساد في الإسكندرية
وعلى كلِّ وَكْرٍ سريٍّ للدعارة.

هذه المرَّةَ كان القَدَرُ رفيقاً به
إذ منحه وجهاً وسيماً
وقد أبهجتْه هذه الهبةُ الإلهية.

ففي أقل تقدير سيدوم جمالُه هذا عشرَ سنوات أخرى
بعدها ربما سيعود ثانية إلى ساكاس
فإذا حدث أن مات العجوز ساكاس في غضون ذلك
فسيذهب إلى فيلسوف آخرَ أو سفسطائي آخر
فالرجل المناسب متوفر دائماً.

وفي آخر الأمر من المحتمل حتى أن يعود إلى السياسة
وأن يُكال له الثناء
لأنه تذكر تقاليده العائلية
وواجباته الوطنية، وما شابه ذلك من الأمور الطنَّانة.

أنتم يا من قاتلتم مع العصبة الآخِيَّة

شجعانٌ أنتم يا من قاتلتم وقُتلتم في سُوح المجد
يا من تصديتم غيرَ هيَّابين لمن كان النصرُ دائماً حليفَهم
وإذا كان داوس وكريتالوس قد أخطآ، فلا لومَ عليكم أنتم
وحين يتبجح الإغريق بالنصر سيقولون
«أنظروا، لقد غلبْنا رجالاً كهؤلاء.»
فما أروعَهُ من مديح!

كتبَهُ رجلٌ آخيٌّ في الإسكندرية
في السنة السابعة لحُكْمِ بطليموس لاثيروس.

في كتاب قديم

في كتاب قديم، يقارب عمرُه المئةَ سنة
هناك لوحة مائية منسية بين صفحاته
لا تحمل توقيعاً
ولكن لا بد أنها لوحةُ فنانٍ متمكن
عنوانها «تصوير الحب.»

وربما كان العنوانُ المناسبُ هو «الحب الإيروتيكي.»

من الواضح، حين تنظر إلى اللوحة
(فكرة الفنان ليست خافية)
أن الشاب الذي في الصورة
لا يمكن أن يكون من العشاق المعتدلين
ممن يمارسون الحب السويّ
فالعينان كستنائيتان، داكنتان

وجمال الوجه مذهل، جمال اللذات المنحرفة

بشفتين مكتملتين تسبغان

شهوانيةً على الجسد الجميل، وبأعضاء مثالية

مصممة للفراش ولغراميات

يَصِمُها العُرفُ بقلَّةِ الحياء.

شاهدة على ضريح أنتياكوس ملك كوماجيني

حين عادت شقيقةُ العلامة أنتيوكوس
ملك كوماجيني، الرجلِ المحتشم المهذب
حين عادت مفجوعةً من مراسيم دفنه
أرادت نصبَ شاهدةٍ لقبره.
فكتب الشاهدةَ، حَسَبَ مقترحٍ من البلاط الملكي،
السفسطائيُّ الإفيسي كاليستراتوس
الذي كان يتردد على ولاية كوماجيني الصغيرة
فيُستقبل بالترحاب في القصر الملكي
وأرسل ما كتب إلى السيدة الموقرة.

تقول الشاهدة: «يا أهالي كوماجيني،
أذكروا الملك الخيِّرَ أنتيوكوس بما يليق به من آياتِ المجد
لقد كان حاكمَ بلادِنا الأرجَحَ عقلاً

كان عادلاً، حكيماً، مقداماً

وفوق ذلك كله كان إغريقياً

وليس هناك بين البشر خصلةٌ أسمى من هذه الخصلة

ما هو أسمى منها يخص الآلهةَ وحدَها.»

مسرح سيدون

400 م

أنا ابن مواطنٍ محترم
لكنني قبل كل شيء شاب وسيم
من شباب المسرح
جميل من نواحٍ عدة
أحياناً أكتب أشعاراً جريئة
باللغة الإغريقية
أوزّعها سرّاً طبعاً
يا لله! يجب ألا تقع عليها عيون
أولئك الدجالين ذوي الأردية السود
الذين يثرثرون حول الأخلاق
تلك الأشعار عن اللذة الجنسية
التي تقود إلى الحب العقيم
الحب المرفوض.

قبل أن يغيرهما الزمن

كلاهما حزين للفراق
لم يكونا يرغبان فيه. لكنها الظروف.
لقمة العيش أجبرت أحدهما
على الذهاب بعيداً - إلى نيويورك أو كندا
صحيح أن حبهما لم يعد مثلما كان
فالجاذبية بينهما فَتَرَتْ تدريجياً
جاذبية الحب فترت كثيراً
ولكنهما لم يكونا يرغبان في الانفصال
إنها الظروف. أو لعله القدر
ظهر في هيئة فنان ليفرق بينهما الآن
قبل أن تبرد مشاعرُهما تماماً. قبل أن يغيِّرَهما الزمن
كي يبقى كلٌّ منهما مثلما كان دائماً
شاباً وسيماً في الرابعة والعشرين.

في الإسكندرية

31 ق.م.

من قريته الصغيرة قرب الضواحي
يأتي البائعُ المتجول مكسواً بغبار السفر

«لُبان، عِلك، زيتُ زيتونٍ فاخر، دهنُ شَعر»
هكذا كان ينادي في الشوارع

ولكنْ كيف يسمعه الناس وسط كل هذا الضجيج،
والموسيقى، والاستعراضات؟

الحشود تدفعه، وتجرُّه، وترتطم به
وحين استبدتْ به الحيرة، سأل أحدهم

«ما سرُّ هذا الهرج والمرج؟»
فقذفه هذا بالكذبة التي أذاعها القصر:
«لقد انتصر أنطونيو في اليونان.»

انتصارات جون كانتاكوزينوس

إنه يرى الحقول التي ما زالت مِلْكَهُ
بحنطتها، بمواشيها، بأشجارها
المحمَّلة بالثمار. وأبعدَ من ذلك بقليل يرى منزلَ أبويه
مليئاً بالثياب، والأثاث الثمين، وأواني الفضة

لكنهم، يا إلهي، سيأخذون هذا كله
سيأخذون كل هذا منه الآن.

ترى هل سيرأف به كانتاكوزينوس
إذا ذهب وطرح نفسه عند قدميه؟
يقولون إنه متسامح، متسامح جداً.
ولكن ماذا عن الذين حوله؟ ماذا عن الجيش؟
أَمْ أنَّ عليه أن يجثو عند قدمي السيدة إيريني ويتوسل؟

أبله! ما الذي ورَّطه في حزب آنا؟
ليت السيد أندرونيكوس لم يمتدَّ به العمر ليتزوجها
هل أصابنا أيُّ خير منها؟ هل لمسْنا ذرَّة من الإنسانية؟
حتى الإفرنج لم يعودوا يحترمونها.
خططها حمقاء، استعداداتها سخيفة.
وبينما كان أتباعُها يتوعدون العالمَ كله من القسطنطينية
إذا بالسيد كانتاكوزينوس يُبيدهم عن آخرهم
إذا بالسيد جون كانتاكوزينوس يَمْحقهم مَحْقَاً.

وهو نفسه كان ينوي الإلتحاق بالسيد جون. تَصَوَّرْ!
كاد يفعل ذلك. إذن لكان الآن سعيداً
لكانَ الآن أحدَ النبلاء العظام.
ولكانَ ذا منزلة رفيعة. لولا أنَّ المطران، في اللحظة الأخيرة
نجح في إقناعه، بأُبَّهته الكنسية
وبمعلوماته الخاطئة من أساسها
وبوعوده ولَغْوِه.

على ساحلٍ إيطاليٍّ

كيموس بن مينيدوروس، شاب إيطالي
من أصول إغريقية
يُمضي حياتَه منغمساً في اللهو
كما يفعل أمثالُه من شباب اليونان العظمى
ممن ترعرعوا في الثراء.

لكنه اليوم، على الضد من طبيعته
مغتمٌّ، مهموم. فعلى امتداد الساحل
راح يراقبهم يُفرغون السفن
من الأسلاب المنتزعة من البيلوبونيس.

غنائم من اليونان. أسلاب من كورنثة.

لا، في يوم كهذا لا يَحِقُّ له
لا يَحِقُّ لإيطاليٍّ ذي دمٍ إغريقي
أن تتطلعَ نفسُه إلى اللهو.

من زجاج ملون

شيء واحد أثارني حقاً
في حفل تتويج جون كونتاكوزينوس
وإيريني بنت أندرونيكوس أسان في بلاكيرني
لم يكن لديهما إلا القليلُ من الأحجار الكريمة
(فبلادُنا المسكينة كانت فقيرة للغاية)
لهذا ارتديا مجوهراتٍ صناعيةً
توليفة من كِسَر الزجاج الملون
حمراء، وخضراء، وزرقاء.
لكنني لا أرى في قطع الزجاج الملونة الصغيرة هذه
ما يَعِيب، أو ما يَحُطُّ من المنزلة
على العكس تماماً، إنها تبدو أشبه باحتجاجٍ حزين
على الظلم الذي تعرضَ له الملكانِ
وإلى ما يليق بهما أن يلبسا في حفلِ تتويجِهما
إنها ترمُز إلى ما هو حقٌّ لسيدٍ جليلٍ مثل جون كانتاكوزينوس
ولسيدةٍ جليلةٍ مثل إيريني بنت أندرونيكوس أسان.

مَرَضُ كليتوس

كليتوس فتى مَشْبوبُ العواطف
في حوالي الثالثة والعشرين
ذو تربية رفيعة، وثقافة إغريقية
يرقُد مريضاً. فقد أمسكتْه الحمى
التي فتكتْ بالإسكندرية هذا العام.

لقد وجدَتْه الحمى خائراً معنوياً أيضاً
فقد أَمْرَضَهُ الحزن، لأن صاحبه الممثل الشاب
لم يعد يحبه، أو يرغب فيه.

إنه مريض وفي حالة حرجة، وأبواه يرتعدان.

والخادمة العجوز التي ربَّتْهُ هي أيضاً
ترتعد خوفاً على حياة كليتوس.

وفي ذُروة قلقها خطرَ لها خاطر

فثمة وثنٌ كانت تعبده في طفولتها

قبل أن تأتيَ إلى هنا لتعمل خادمة

في بيت المسيحيين الأتقياء هذا، وتُصبحَ مسيحية.

فأخذت سرًّا فطيرة، وخمراً، وعسلاً.

وذهبت بها إلى وثنها المعبود. ورتَّلتِ الأدعية

التي بقيتْ في ذاكرتها: البدايات، والنهايات، والوسط.

الحمقاء— إنها لا تفهم أن الشيطان الأسود هذا لا يهمه كثيراً

أن يَشفى مسيحيٌّ من مرضه، أو لا يَشفى.

في إحدى مدن الأناضول

نتائجُ المعركة البحرية في أكتيوم
لم تكن متوقعة على الإطلاق
ولكنْ لا حاجةَ لكتابةِ خطبةٍ جديدة
كلُّ ما ينبغي عملُه
هو تغييرُ الأسماءِ فقط
هناك في السطور الأخيرة، بدلاً من
«بعد أن حررتَ الرومان من ذلك المخرب أوكتافيوس
التابعِ الذليلِ لقيصر»
سنضع الآن «بعد أن حررتَ الرومان من المخرب أنطونيو»
وسيكون النص بأكمله مناسباً تماماً.

«إلى حامل لواء النصر، إلى المتوَّج بالمجد
إلى من لا نظيرَ له في قيادة الجيش
إلى صاحب المنجزات السياسية الكبرى
إلى من يدعو له الشعبُ دعاءً صادقاً بالنصر، إلى أنطونيو»

هنا، كما نوَّهْنا، ينبغي وضع:

«إلى أوكتافيوس، الذي يمثل انتصارُه أجملَ هِبَةٍ من لَدُنْ زيوس

حامي حمى الإغريق العظيم

المحافظِ على شرف التقاليد الإغريقية

المحبوبِ في كل بلاد الإغريق

أجدرِ الناس بالمديح

الذي زَهَتِ اللغةُ الإغريقية

اللغةُ الإغريقية التي هي الطريق إلى العلا

بتعداد مناقبِهِ شعراً ونثراً»

إلخ، إلخ، كلُّ شيءٍ مضبوط.

موكب عظيم من القساوسة والعامة

موكبٌ مَهيب من القسس وعامة الناس
من مختلف الحِرَف والمهن
يجوب الشوارعَ والساحاتِ والبوابات
في مدينة أنطاكية الشهيرة
يتقدمه شابٌ وسيمٌ بملابس بيضاء
يحمل الصليب المقدس، مصدرَ قوتنا وأملنا
بينما راح الوثنيون
الذين كانوا بالأمس في غاية العجرفة والصلف
ينسحبون من أمامه مخذولين
بُعْدَاً لهم. فليبقوا بعيدين إلى الأبد
(ما داموا سادرين في غيّهم)
فالصليب المقدس يتقدم
حاملاً السعادةَ والسلوى إلى كل حارةٍ في المدينة
حيث يسكن المسيحيون الأتقياء

الذين خرجوا إلى أبواب بيوتهم
مُفعَمين بالبهجة، يرتِّلون الصلوات
إنه القوة والخلاص للعالم كله، الصليب هذا.

إنه عيد مسيحيٌّ سنويٌّ
ولكنِ، انظرْ، إنه اليومَ أكثرُ ألقاً
فقد تحررتِ البلادُ أخيراً
فجوليانُ الشرير، البغيض لم يعد يحكمها.

فلندعُ بالخير للتقيِّ الورع جوفيان.

كاهن في السيرابيم

إنني أبكي أبي
أبي العجوز الطيب
الذي لم يتغيرْ حبُّه لي
الذي مات أمس الأول قُبيلَ الفجر.

آه يا سيدي المسيح، إنني أَبْذُلُ ما في وسعي
لأطبِّقَ تعاليمَ كنيستِك المقدسة
في كل أفعالي، وفي كل كلماتي، وفي كل أفكاري
وأولئك الذين يُنكرونك أُبعدُهم عني
ولكنني الآن أنتحب بحرقة.
إنني أنعى أبي يا سيدي المسيح
رغم أنه كان— ما أبشعَ أن ألفظها—
كاهناً في السيرابيم اللعين.

آنا دالاسيني

في مرسوم ملكي أَصدَرَه
ألكسيوس كومنينوس تقديراً لأمه
السيدةِ اللبيبة آنا دالاسيني
المشهورةِ بمناقبها وحُسْنِ سلوكها
وردتْ عباراتُ إطراءٍ كثيرة
نختار منها هذه العبارةَ الجميلة السامية:
«تلك الكلمتانِ الباردتان (لي) أو (لك) لم تَلْفِظْهما قط.»

في مستعمرة إغريقية كبيرة

200 ق. م.

لا يوجد أدنى شك

أن الأمور ليست على ما يرام

رغم أننا، بهذه الطريقة أو تلك، نتقدم

ولعل الوقت قد حان

كما يعتقد الكثيرون، إلى الاستعانة بمُصْلِحٍ سياسي.

لكنَّ ما يزيد الأمر تعقيداً

أنَّ هؤلاء المصلحين

يصنعون من الحبة قبة

(وسنكون سعداء لو أمكننا الاستغناءُ عنهم)

فهم يَدُسُّون أنوفَهم في كل صغيرة وكبيرة.

ويستجوبون، ويحققون في كل شيء

ثم، فجأة، يفكرون في إصلاحات جذرية

على أن تتم فوراً وبلا تأخير.

وهم مجبولون على التضحيات
تنازلْ عن أملاكك هذه
فهي ليست في مأمن
أملاكك هذه هي ما يؤذي المستعمرات
تخلَّ عن دخلك هذا
وعن دخلك الآخر الذي يأتي معه
وعن دخلك الثالث كنتيجة طبيعية
صحيح أنها كلَّها ضرورية
ولكن ماذا بوسع المرء أن يفعل؟
إنها عبء كبير على كاهلك.

وهكذا، بينما يواصلون تحرياتِهم
يكتشفون المزيد والمزيد مما هو فائض ومما يجب الحد منه

وحين ينتهون، آخرَ الأمر
بعد أن يحددوا كلَّ شيء، بعد أن يشذِّبوه
يذهبون حاملين معهم رواتبَهم المستحَقة
فلنر ماذا بقي بعد هذه العمليات الجراحية الألمعية.

ربما لم يحن الوقت بعد

يجب ألا نستعجل. فلِلْتَسَرُّعِ محاذيرُه

وفي العجلة الندامة.

أكيد أنَّ في المستعمرة نواقصَ كثيرة، لسوء الحظ

ولكن، أهناك أيُّ كمال في الإنسان؟

وبعد كل هذا، انظروا، إننا نتقدم رغمَ كلِّ شيء.

لم تفهم

في ما يتعلق بمعتقداتنا الدينية
يقول جوليان الأبله: «قرأتُ، فَهِمتُ، شَجَبتُ.»
وكأنَّ الأحمقَ البليدَ قد محانا من الوجود
بقوله: «شَجَبتُ.»

لكنَّ بهلوانياتِه لا تنطلي علينا، نحن المسيحيين
فقد رَدَدْنا عليه بقولنا: «قرأتَ، ولكنكَ لم تفهمْ.
فلو كنتَ فهِمتَ لما شَجَبتَ.»

في سبارطة

لم يكن الملك كليومينيس يجرؤ—
لم يكن يعرف كيف يُعَبِّر عن طلبه لأمه
من أن بطليموس أصرَّ على إبعادها
إلى مصر لتُحتَجز رهينةً هناك
لضمان اتفاقِهما
إنه طلب مهين حقاً، غيرُ لائق أبداً.
كان يهم بفتح فمه ثم يتردد
كان يبدأ الكلام ثم يسكت
لكن المرأة الفطنة فهِمتْ كلَّ شيء
(إضافةً إلى أنها سَمِعَتْ إشاعاتٍ حول الموضوع)
فشجعتْه على أن يتكلم
ثم ضحكتْ. قالت إنها ستذهب بالتأكيد
وإنها سعيدة أنْ ما زال في إمكانها، هي العجوز
أن تخدم سبارطة

أما بخصوص الإهانة، فلن تكترث
وأما بخصوص بطليموس بن لاغيدس
هذا الغر الذي لم يولد إلا أمس
فليس في إمكانه أن يفهم كبرياء سبارطة
ولهذا فطلبُه هذا لن يجرح كرامةَ امرأةٍ عظيمة مثلها
امرأةٍ معروفة، أمٍّ لملكٍ سبارطيّ.

أيام 1910، 1911، 1912

كان ابنَ بحار فقير معدم
(من جزيرةٍ في بحر إيجة)
يعمل في دكان حداد
ثيابُه رثة، حذاؤه ممزق متهرئ
يداه ملطختان بالصدأ والزيت.

في المساء، حين يُغلَق الدكان
إذا رغب في شراء شيء ثمين
ربطة عنق غالية، مثلاً
ربطة عنق ليوم الأحد
أو إذا رأى خلف زجاجِ حانوت
قميصاً أزرقَ أعجبه
كان يبيع جسده لقاءَ دولارٍ أو دولارين.

إنني أتساءل: تُرى هل امتلكتِ الإسكندريةُ المجيدة
في سابق عهدها فتى أكثرَ اكتمالاً وجمالاً
فتى بُدِّدَ جمالُه (إذ لم يُصنعْ له تمثال
ولا رُسِمتْ له لوحة)
مدفوناً في دكان الحَدَّاد القذر
حتى أتى عليه الشغلُ الشاقُّ والدَّعارة
فدمَّراه بالكامل.

أمير من ليبيا الغربية

أرسطومينيس بن مينيلاوس

أمير من ليبيا الغربية

حظِيَ بإعجاب الناس

أثناء الأيام العشرة التي قضّاها في الإسكندرية

ملابسُه، مثلَ اسمه، إغريقية تماماً

كان يسعده أن يتلقى التكريم

لكنه لم يكن يسعى إليه

كان متواضعاً

يشتري الكتبَ الإغريقية

وخصوصاً كتبَ التاريخ والفلسفة

ولكنه، قبل كل شيء، قليلُ الكلام

الناس يقولون «لا شك أنه عميق التفكير

فذوو التفكير العميق قليلو الكلام.»

لكنه لم يكن عميق التفكير ولا أيَّ شيء
كان رجلاً عادياً، مَدْعاةً للسخرية
اتخذ لنفسه اسماً إغريقياً
وتعلَّمَ، نوعاً ما، كيف يتصرف كالإغريق
وكان يخشى أن تفضحَه لكنتُه الثقيلة
فيكتشفَ الإسكندريون الأبالسةُ أمرَه
ويتغيرَ انطباعُ الناس عنه.

لهذا اقتصر على بضع كلمات
مراقباً برهبة قواعدَ النحو والتلفظ
ومُعانياً الأمَرَّينِ من تراكم الكلام في داخله.

ميريس، الإسكندرية، 340 للميلاد

حين بَلَغَني الخبرُ المؤلم من أن ميريس قد مات
قُمتُ بزيارةٍ لبيتهم
رغم أنني أتجنب بيوت المسيحيين عادةً
خصوصاً في المآتم والأعياد.

بقِيْتُ في المدخل. لم أرغب في الذهاب أبعد
داخل البيت، لأنني لاحظتُ أقارب الميت
يَحْدِجُونني بنظرات استغراب
بدهشة وعدم ارتياح.

كانوا قد وضعوه في غرفة كبيرة
لم أكن أستطيع رؤيةَ الكثير منها
من الزاوية التي أقف فيها
هناك سجاجيدُ ثمينة كثيرة
وأوانٍ من الفضة والذهب.

وقفتُ في نهاية المدخل وبكَيت
فكَّرتُ كيف أن لقاءاتِنا ونزهاتِنا
ستصبح بلا قيمة من دون ميريس
وكيف أنني لن أراه بعد الآن
في عربداتنا الليلية الصاخبة الرائعة
وهو يلهو ويضحك ويقرأ الشعر
بحسّه العالي بالأوزان الإغريقية
وكيف أنني قد خَسِرتُ إلى الأبد ذلك الجمالَ الخارق
ذلك الفتى الذي جُننتُ بحبه.

كانت قربي نسوة عجائز يتحدثن بصوت خفيض
عن آخر يوم في حياته
وكيف أن اسم المسيح لم يكن يفارق شفتيه
وكيف أنه كان يحمل صليباً بيديه
ثم دخل الغرفة أربعةُ قساوسة
راحوا يرتِّلون صلواتٍ وابتهالات
عن عيسى أو مريم (فأنا لا أفهم في دينهم).

كنا نعرف طبعاً أن ميريس مسيحي

منذ اللحظة التي التحق فيها بجماعتنا

في السنة قبل الأخيرة

لكنه كان يعيش مثلنا تماماً

بل كان أشدَّنا وَلَعاً بالملذات

كان يبعثر نقوده بلا مبالاة على اللهو

غيرَ عابئٍ بما يقوله الناس عنه

وكان يرمي نفسه بسعادة في معارك الشوارع الليلية

كلما اصطدمتْ جماعتُنا

بجماعة معادية

ولم يكن يتحدث عن دينه أبداً

لكننا أخبرناه مرة أننا نود أن نأخذه معنا

إلى السيرابيم

ويبدو أن مزاحنا لم يرُق له، الآن انتبهتُ إلى هذا

آ.. تذكرتُ مناسبتَينِ أُخْرَيَيْن

حين أَرَقْنا الخمرَ لبوزايدون

انسحبَ منا وأدار عينيه بعيداً

وحين قال أحدُنا بحرارة

«ألا فليحمِنا أبولو العظيم الجليل»

غمغم ميريس «إلا أنا» (الآخرون لم يسمعوه).

وارتفعتْ أصواتُ القساوسة المسيحيين بالصلاة

على روح الفتى

ولاحظتُ بأيَّةِ عنايةٍ ودِقَّة

كانوا قد هيَّئوا تفاصيل الدفن المسيحي

وفجأة انتابني شعور غريب

أحسستُ أن ميريس يهجرني

أنه قد اتحد بقومه المسيحيين

وأنني أصبحت غريباً

غريباً بمعنى الكلمة

وبدأ الشك يساورني

ربما كنتُ واهماً حول عواطفي

ربما كنتُ دائماً غريباً بالنسبة إليه

فلُذْتُ بالفرار من ذلك البيت الرهيب

غادرتُ بسرعة قبل أن يختطفوا مني ذكرى ميريس

قبل أن تغيِّرَ مسيحيّتُهم صورتَه في ذاكرتي.

المِرآة في الصالة

في مدخل البيت الفخم
مرآة قديمة هائلة
لا بدَّ أنها اقتُنيتْ قبل أكثرَ من ثمانين سنة.

هناك وقف صبي وسيم جداً
عامل لدى خيّاط
(وفي أيام الأحد رياضيٌّ هاوٍ)
في يده رزمةٌ، سَلَّمها لشخصٍ ما في البيت
حَمَلَها هذا إلى الداخل ليجلب الوصل
تاركاً عاملَ الخيَّاط وحده، فوقفَ هذا وانتظَر
واقتربَ من المرآة وألقى نظرة على نفسه
وعدَّل ربطة عنقه. ثم بعد دقائقَ خمسٍ عادوا بالوصل
فأخذه وانصرف.

لكنَّ المرآةَ العجوز التي طالما رأت
في سنوات عمرها الطويل
آلافَ الأشياء والوجوه
كانت سعيدةً وفخورة
أنها استقبلتْ في داخلها
صورةَ الجمالِ الكامل هذا للحظاتٍ معدودة.

في ضواحي أنطاكية

في أنطاكية كنا مذهولين
لما فعله جوليان مؤخراً

ففي دافني فاتَحَ أبولو سموَّه
بأنه لن يُدْلِيَ بأية نبوءة بعد الآن
(وكأنَّ الأمرَ يهمُّنا). قال إنه لن يُنْبِئَ بالغيب
حتى يُطَهَّرَ معبدُ دافني.
فالجثة المدفونة قربه تزعجه، هكذا قال.

هناك العديد من القبور قرب دافني
في أحدها يرقد فخر الكنيسة المجيد
القديس الشهيد الظافر بابيلاس.

وكان الإله الزائف يقصده، لأنه يخشاه
فما دام مدفوناً قربه، لم يكن يجرؤ
أن يُدْلِيَ بنبوءة. كان أبكمَ

(الآلهة المزيفون يرتعبون من شهدائنا.)

وشمَّر جوليان الكافر عن أردانه
فقد كانت أعصابه متوترة إلى أقصى حد
وصرخ غاضباً: «أخرجوه، أبعدوه من هنا.
احملوا بابيلاس هذا بعيداً، احملوه حالاً.
فأبولو منزعج، تخيلوا هذا.
أخرجوه، أمسكوه فوراً
انبشوا قبره، خذوه أينما شئتم. خذوه بعيداً.
ارموه خارجاً. أتظنونني أمزح؟
أبولو يقول إن معبده يجب أن يتطهَّر.»

فأخذناه، حملنا الجسد الطاهر إلى مكان آخر
أخذناه، حملناه في حب وإجلال.

حقاً، لقد تحسنتْ حالُ المعبد

تحسنت حالاً،

فقد شبَّ فيه حريقٌ عظيم، حريق مسعور

فاشتعلَ المعبد كله، اشتعل وانطفأ، وأبولو معه.

لقد استحال الصنم رماداً، لكي تذروه الرياح مع القمامة

وانفجر جوليان غاضباً، وأعلن على الملأ

— وماذا كان سيفعل غير ذلك— أننا، نحن المسيحيين،

من أشعل النار. فليقل ما يشاء.

أين الدليل؟ ليقل ما يشاء.

المهم في الأمر أنه كان يغلي غضباً.

المصادر

Boucquey, Thierry. Ed. Encyclopedia of World Writers. Vol. 3. New York: Facts on File, 2005.

Cavafis, C. P. Posía completa. Tr. Pedro Bádenas de la Peña. Madrid: Alianza Editorial, 1991.

Cavafy, C. P. Collected Poems. Tr. Edmund Keely and Philip Sherrard. Prineton and Oxford: Princeton University Press, 2009.

Cavafy, C. P. Complete Poems. Tr. Daniel Mendelsohn. New York: Alfred Knopf, 2012.

Cavafy, C. P. Poems by C. P. Cavafy. Tr. John Mavrogordato. London: Chatto & Windus, 1951.

Cavafy, C. P. The Collected Poems. Tr. Evangelos Sachperoglou. New York: Oxford University Press, 2007.

Cavafy, C. P. The Complete Poems of Cavafy. Tr. Rae Dalven. London: The Hogarth Press, 1961. Forster, E. M. Alexandria: A History and a Guide. Alexandria: Library of Alexandria, 1922.

Liddell, Robert. Cavafy: a Critical Biography. London: Duckworth, 1974.

Mendelsohn, Daniel. C. P. Cavafy: Complete Poems. New York: Alfred Knope, 2012.

المترجم

حيدر خضير الكعبي شاعر ومترجم عراقي ولد في البصرة سنة 1954. فُصِلَ من كلية الشريعة ببغداد سنة 1979 لأسباب سياسية. غادر العراق في أواخر آذار سنة 1991 إثْرَ قمع الانتفاضة الشعبية. أمضى ثلاث سنوات في مخيمات اللاجئين في السعودية. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1994. حصل على شهادة الماجستير في اللغات الرومانسية والدكتوراه في الأدب الإنكليزي من جامعة ممفيس الأمريكية. عمل مدرساً للغة الإسبانية في الجامعة المذكورة. من ترجماته (شعرية التأريخ الإسلامي: تفكيك تاريخ الطبري) لبواز شوشان، منشورات الجمل، بيروت، 2016، و(نيكانور بارّا: قصائد مضادة)، دار الينابيع، دمشق،2021 ، و(راعي القطيع)، فرناندو بيسوا، و(مواعظ وخطب مسيح إلكي)، نيكانور بارّا، منشورات غاف، دبي، 2023. له ثلاث مجموعات شعرية هي (قصف)، دار المدى، دمشق، 1998، و(أحلام الجندي القتيل)، منشورات ضفاف، الدوحة، 2019، و(لمّ الشظايا)، دار الينابيع، دمشق، 2022.

قسطنطين كفافي

شعوب

يقول ري دالفن إن العنصر الأكثر إثارةً للخلاف في شعر كفافي هو «مزجُه الفريد بين اليونانية الفصحى (الكاثارفوسا) واليونانية العامية (الديموتية).» ويقول دانييل مندلسون «كانت أعمالُ كفافي المبكرة قد كُتبتْ بالفصحى، ولكنه في بدايات تسعينات القرنِ التاسعَ عشرَ بدأ باستخدام العامية. وكانت قصيدتُه غيرُ المنشورة -الطقس الحسن والطقس الرديء (1893)- أولَ قصيدةٍ كتبها بأكملها بالعامية.» ويقتبس دالفن رسالةً من كفافي يقول فيها: «لقد حاولتُ أن أمزجَ لغةَ الكلام مع لغةِ الكتابة، واستدعيتُ لمعونتي، من أجل تحقيق هذا الغرض، كلَّ خبرتي وكلَّ ما لديَّ من بصيرة فنية، وأنا أرتعد، كما يقال، لدى كلِّ كلمة.»

حيدر الكعبي